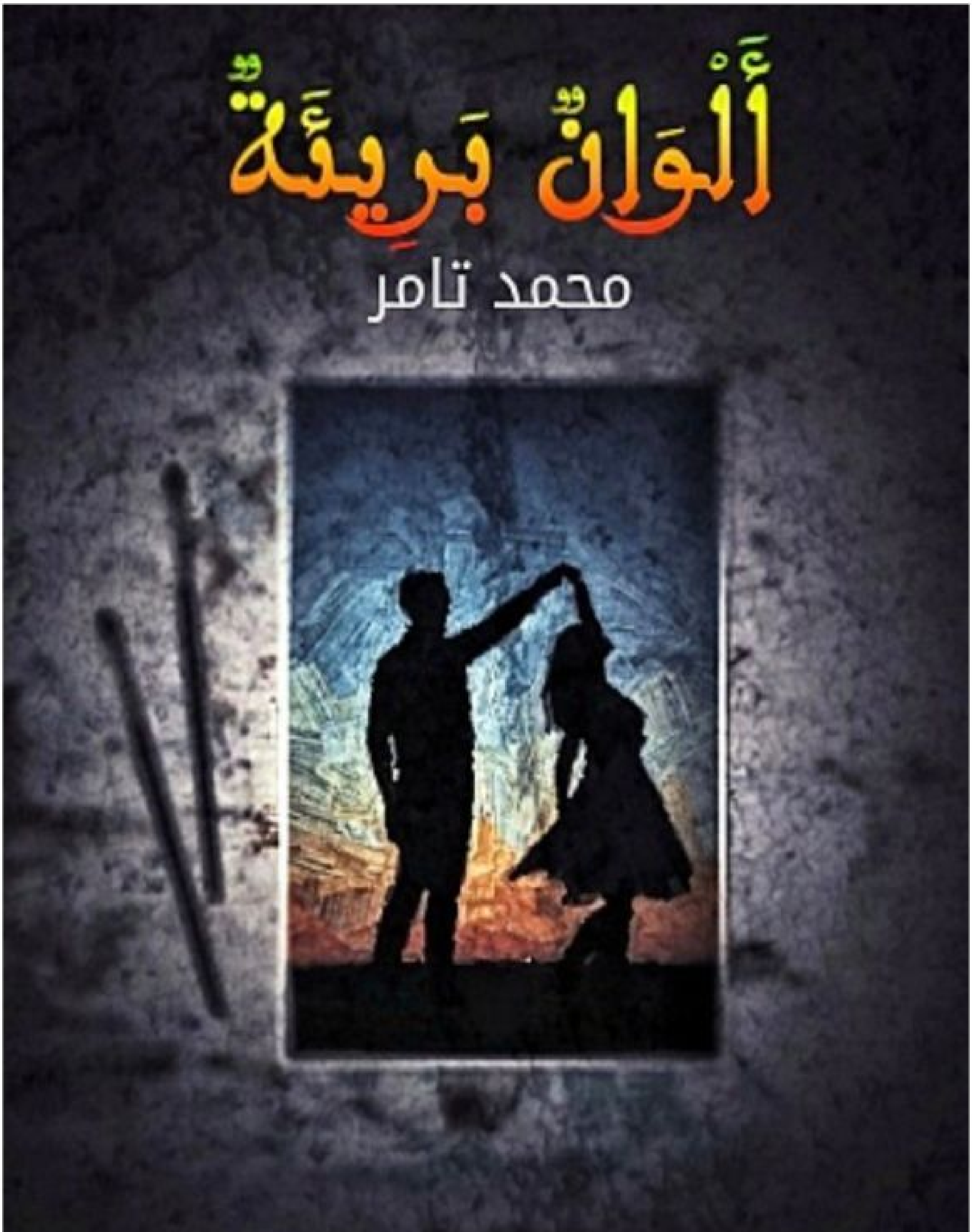

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملاحظة بسيطة، عزيزي القاريء

قد كتبتُ القصة في الصفحات المقبلة بنظامٍ يعتمد على تتابع الأيام، بحيث أنني لا أكتب حبكة مباشرة متتابعة الأحداث دون فواصل كثيرة، وإنما أنا فقط أعتمد على اقتطاف مواقف خاصة من الأيام التي دارت فيها أحداث القصة، فمثلاً اليوم الثالث – يوم لقاء الإبن والأم كما ستعرف – لم أهتم بتفاصيله الكثيرة، وإنما ركزت على الحدث المهم فقط وهو "زيارة الإبن لوالدته" وذلك منعاً للإسهاب وإثارة الملل، وهكذا الحال طوال القصة.

إهداء

إلى صُحبة الكلية، وهذه الصحبة أذكرها دون سواها كي يذهب الحق لأصحابه، ولأن الذين أعانوني بكل ما أمكنهم من كلماتٍ وأحاديث كانوا ضمن هذه الصحبة التي أتمنى من الله أن يكتب دوام وجودهم معي لأطول وقتٍ ممكن.

أعلم أنكم تتوقعون مني كلماتٍ كثيرة في هذا الصدد، والحق أن ما أريد أن أقوله أكثر مما أستطيع كتابته، لكن هذا لا يعني أبداً أنني قد مللت من شكركم، فقد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فعلتم معي ما لم يفعله كثيرين وهو أنكم رضيتم بوجودي معكم، وبفضلكم تحولت بنسبة معقولة إلى شخص أفضل مما كنت عليه، وعل وجودكم يكون سبباً في أن تظل نفسي مستقرة وبخير، وعَلَّ وجودي يكون مفيداً ونافعاً لكم بأي شكل وألا يكون مجرد وجودٍ صُورِيٍّ، عَلَّكُم تكونون بخير بي وعَلِّي أكون بخير بكم.

أحبكم وأحبكن جميعاً من أعماق قلبي، وأتمنى لكم ولَكُنَّ خيراً وفيراً كثيراً في حيواتكم، وللمرة التي لا أذكر عددها أشكركم دون ملل، على كل شيء.

إهداء آخر

ليس إلى جمع من الناس ولكن إلى شخص بعينه يعرف نفسه جيداً، وسيتأكد من أنني أقصده حينما أشكره على متابعة القصة أولاً بأول من بدايتها وحتى نهايتها، لك مني كل الشكر والإمتنان، وأعد بأن هذه لن تكون آخر قصة تتابعها معي بإذن الله.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يوم ١

كانت إضاءة الغرفة خفيفة كما يحبها، رغم أنه كان أحياناً يرفع الإضاءة لأن هذا يبعث في نفسه نوعاً من الأمل، لكنه تلك المرة كان يائساً بطريقة جعلته يعزف عن الأمر، وبأية حال فهذا اليأس ليس شعوراً جديداً عليه!

جلس على كرسيه، أخذ ألوانه وبدأ بالرسم على الورقة الماثلة أمامه، كانت ذكرياته ومشاعره عماداً لإلهامه - وإلهام الفنان هو محركه الرئيسي كما نعلم - مرت بضع دقائق قبل أن يضع اللمسات الأخيرة على لوحته البسيطة التي تفيض بالمشاعر والأمنيات، تركها لِتَجِّف وقام من على كرسيه وابتعد قليلاً، ثم التفت ليلقي عليها نظرةً حزينةً، ويقول بكل أسى الدنيا: "لو أن هذه اللوحات تنبض بالحياة بطريقة ما....لو أن أَمَانِيَ التي أختزلها في لوحاتي فقط تتحقق....!"

ثم خرج من الغرفة، وأغلق الباب وراءه.

أما عن اللوحة فالناظرُ إليها سيرى فتىً يَمُدُّ ذراعه ليمسك بِكَفِّ فتاةٍ ترقص وتدور حول نفسها ببراءة، ومن ورائهما شمسٌ متألقةٌ في مشهد غروبها، لوحة أبسط حتى من وصفها بكثير لكن تفاصيلها في قلبه ليست بسيطة على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإطلاق!

يوم ٢

كانت ساعة واحدة هي الفاصلة بين غروب الشمس وبين وصول فناننا إلى منزل والده، فقد اعتاد أن يزوره بين الحين والآخر ليطمئن عليه، وربما ليطلب منه بعض المال وهذا أمر نادر الحدوث.

طرق الباب وانتظر الرد، مرت بضع ثوان قبل أن يجيبه والده بصوته الأجش ذي النبرة المحببة إلى قلبه: "من بالباب؟!"
أجاب: "إنه أنا، راجي، لوهلة جعلتني أظن أن هنالك من يأتي إليك سواي!"

فتح والده الباب وأذن له بالدخول، وقال: "أعلم يا بني، لكن الإحتياط واجب كما تعلم."
-احتياط؟!
=دعك من هذه التفاصيل يا فتى، أتريد أن تتناول الغداء معي؟
-لا بأس، أنا لم أتناول شيئاً اليوم بأية حال.
=هذا جنون يا راجي!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

توجه الوالد إلى المطبخ وبدأ بإعداد وجبة بسيطة مكملاً حديثه: "ألا تخشى على نفسك؟"
ابتسم راجي ورد: "كلا، لم أعد مهتماً بما قد يحدث لي!"

لم يرد والده، وإنما أنهى إعداد الطعام وخرج إلى الصالة حاملاً أحد الأطباق، قام راجي ليساعد والده في إعداد المائدة وأحضر بقية الأطباق، وعندما اتخذا مكانيهما على كراسي المائدة نظر الوالد إلى ابنه بإشفاق وقال له: "أمثالنا مجرد كهول ينتظرون الموت، اهتم أنت بحياتك وبنفسك أرجوك، هنالك أمور لا يمكن أن تعود أبداً إلى سابق عهدها مهما حاولنا!"
-المشكلة أنكما لم تحاولا!

بدأ الوالد بالأكل وسأل مغيراً الموضوع: "كيف حال فنك؟"
بدأ راجي بالأكل كذلك ورد: "بخير، ومفعم بالألوان...وكل تلك الأمور!"
=كعادته يا بطل!
-نعم....كعادته.
=وكيف حال العمل؟
-جيد، المدينة تشهد نزعة ثقافية من نوع ما، وصاحب المكتبة كريم جداً في توزيع الأرباح.
=نعم، معرض الفنون الجديد هذا إثبات لوجود تلك النزعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التي تتحدث عنها.
-وكل هذا يصب في صالحي بالطبع.
=يبدو الأمر وكأنك لن تحتاج إلى مساعدة والدك الكهل إلا عندما يحين أوان زواجك!
-زواج؟! أتريدني أن أفكر بالزواج بعد ما قد حدث؟!
=أنت لست نحن يا راجي، عليك أن تجرب، المغامرة جزء لا يتجزأ من الحياة!
-....أخشى أن أفشل!
=وأنا أيضاً أخشى أن تفشل، لكن هذا لا يغير حقيقة أن متعة المغامرة تكمن في غموضها!
-أنت تتحدث بثقة مثيرة للسخرية!
=....دعنا من الحديث في هذا الأمر...
-لِمَ لم تحاول حتى الآن أن تصلح الأمور؟ أعني....أتظن حقاً أن طبخك ألذ من طبخها؟!
=لا، لم أظن ذلك يوماً، لكني لست مخطئاً كي تلومني هكذا.
-.....ما الذي يمنعك حقاً من المحاولة؟
=.....لا يمكننا أن نعود كما كنا يا راجي، أنت لن تفهم هذا أبداً، الأمر معقد.
-لا شيء معقد، نحن نعطي الأمور أكبر من حجمها وحسب!
=وأنا لم أفعل ذلك!
-لم تفعل ذلك....أنت محق، دعنا من الحديث في هذا الأمر، فلا شيء سيتغير على ما يبدو!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=بالضبط، ولو أن العكس صحيح لكان شيء ما قد تغير طوال تلك الأعوام الماضية.

-.....نعم، والعكس للأسف غير صحيح!

يوم ٣

كانت الأزهار أمام ذلك المنزل جذابة وجميلة، وحالها ينم عن وجود من يرعاها بحب واهتمام، حتى أن روائحها العطرة كانت تفوح في كل ركن من أركان تلك الحديقة الصغيرة، كان المكان بحق مناسباً لينسى المرء همومه، لكنه لم يكن كذلك بالنسبة لراجي!

اقترب راجي من امرأة كانت تقف بجوار زهرة وترويها، ويبدو أن تلك المرأة قد شعرت بحضوره ويكأن بينهما رابطاً ما، إذ أنها قالت بصوتٍ مرح: "أنت فاشل في لعب الغميضة، وهذا ما أذكره بوضوح!"

كانت قد أنهت سقاية الزهرة بالفعل، واقتربت لتحتضن راجياً بحب وترحب به، ثم أخبرته أن يدخل المنزل وينتظرها ريثما تنهي سقاية بقية أزهار الحديقة، وقد كان. دخل راجي وجلس على الأريكة منتظراً إياها، أخذ يجول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعينيه في المكان إلى أن لمح صورة ملقاة على الأرض، التقطها ليرى أنها تضم والدته وتضمه معها، وتضم كذلك شخصاً ثالثاً قد تم قصه من الصورة، حالها حال كل الصور العائلية المعلقة على جدران المنزل، ثلاثة أشخاص في كل الصور لا يظهر منهم سوى اثنين.
دخلت الأم لترى راجياً وهو ممسك بالصورة، وقفت في مكانها حتى التفت هو إليها قائلاً: "لم يكن عليكِ فعل هذا!"

اقتربت والدته لتتخذ مقعدها بجانبه على الأريكة، ثم قالت: "ربما، لكن ما أنا متأكدة منه أنه كان عَلَيّ أن أنسى، مهما كلفني الأمر."
-وماذا عني؟ أليس من المفترض أن أكون العائق الأكبر الذي يمنعكما من النسيان؟!
=أنا آسفة يا راجي، لم أقصد...
-لا بأس، لستِ حقاً بحاجة إلى التبرير....فقط....ألا يمكن لكل شيء أن يعود كما كان؟
=لكان قد عاد منذ أعوام....
-أعوام! إنها مجرد ثلاثة أعوام يا أمي، وقد تجاهلت الأمر طوال تلك الثلاثة أعوام ولكن لا يمكنني أن أفعل بعد الآن!
=.....أنا أعرف شعورك يا راجي، ولكن لا يمكنك أن تُقَيّد نفسك بمصيرنا إلى الأبد، ماذا عن مصيرك أنت؟
-لا أظنني آبه له!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=هذا خطأ كبير يا بني! لا ينبغي للمرء أن يهتم بمصير أكثر من مصيره، لا مانع من بعض الإيثار ولكن لا تدعه يدمرك!

-.....والدي يبلغكِ سلامه!

=كلا يا راجي، ما كان ليفعل....محاولاتك بريئة ولكن الكذب خطيئة يا بني....فقط لا تحاول يا راجي، أرجوك!

-حسناً حسناً، لن أحاول، لن أفعل....لكن يمكنكِ أنتِ أن تحاولي!

=....لا أستطيع، لا يمكن للأمور أن تعود إلى سابق عهدها!

-لكنكِ لم تجربي كي تكوني واثقة تمام الثقة من الأمر!

=راجي....أنهِ الموضوع أرجوك وأخبرني: هل أنتَ جائع؟!

-....لا أدري.

=سأعتبر أنك جائع، سنتناول الطعام معاً وستخبرني بأحوالك!

-لا بأس بذلك.

=....سيكون كل شيء بخير يا راجي، كما يريده الله أن يكون، فقط اهتم بنفسك أرجوك، عدني أنك ستفعل!

-سأحاول!

=عدني بأنك ستفعل يا راجي، وليس أنك ستحاول!

-.....لا أستطيع!

ابتسمت الأم، وتوجهت إلى المطبخ لتبدأ بإعداد مائدة الطعام التي تجمعهما سوياً ثم قالت: "توقعت أن تقول هذا!"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رد راجي: "نعم، ربما تعرفينني أكثر من نفسي!"
=هذا واجبي!
-نعم....أطال الله عمرك!

يوم ٨

كان راجي جالساً مع رفاقه في مجاله الفني على كراسيٍّ مجتمعة على شكل حلقة بداخل المعرض، يتجاذبون أطراف الحديث عن النزعة الفنية التي أصابت المدينة وعن كيفية الإستفادة منها بالشكل الأمثل، وعن أساليب تطوير فنونهم وتحديداً راجي الذي كانت كل لوحاته - حسب زعمهم - مشابهة لبعضها البعض!

قطع حديثهم قدوم شابة في مقتبل عمرها وقد أعجبتها إحدى لوحات راجي البسيطة المعروضة، قام راجي من المجلس بعد أن طلب الإذن بكل أدب من رفاقه وتوجه إليها، وسألها عن مبتغاها فأشارت إلى لوحته التي رسمها مؤخراً، تلك التي يرقص فيها العاشقان أثناء غروب الشمس، سألته عن سعر اللوحة فأجابها كما أجاب الكثيرين غيرها بطريقة مشابهة: "بصراحة، أنا سعيد بحبكم المفاجيء للفنون يا أهل المدينة ولكن....أن أرسم لوحة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأقدرها بمقابل مادي ليس أمراً محبباً إلى قلبي، ولكن إذا كنتِ مُصِرَّةً فقدريها أنتِ، تبدين ذات ذوق رفيع بأية حال!"

ابتسمت الفتاة وأعطته سبع مائة جنيه، أخذهم راجي وعقد حاجبيه قائلاً: "هذا أكبر بكثير من القيمة الحقيقية لهذا العبث!"

اتسعت ابتسامة الفتاة لتكشف عن أسنانٍ بيضاء لامعة تنم عن شخصية تحب أن تكون الأجمل في كل التفاصيل، ثم استدارت لترحل، لكنها توقفت بعد أن خطت بضع خطوات والفتت إلى راجي سائلةً إياه عن اسمه، فأجابها بأن اسمه راجياً، فسألته مجدداً: "لم كل لوحاتك تشبه بعضها البعض يا سيد راجي؟!"

ضحك رفاق راجي بصوتٍ منخفضٍ مسموعٍ، استرق راجي نظرة إليهم ثم عاد ببصره إلى الفتاة ورد: "الأمر....معقد نوعاً ما!"

ابتسمت الفتاة مجدداً ثم سألته: "معقد أم شخصي؟!"
فغر راضي فاه لوهلة ثم أجاب: "الإثنان معاً حسبما أظن....بنسب مختلفة ربما!"
=أوه، جميل....سررت بالتعامل معك يا سيد راجي!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قالت جملتها الأخيرة ورحلت تاركةً راجياً...

في الواقع هي لم تتركه في حال مميزة عن حاله الطبيعية، لأن هذه الأمور عادية بالنسبة لراجي الذي لم يعد ينتظر شيئاً جديداً أو مميزاً في حياته!

يوم ١١

كانت المكتبة شحيحة الزبائن في ذلك اليوم عكس المعتاد، وقد كان هذا مثيراً لقلق صاحبها، إلا أن راجياً مساعده المخلص بَثَّ في نفسه قدراً ليس بصغير من الطمأنينة عندما ذَكَّرَهُ أن هذه الأيام كثيراً ما مرت عليهم أمثالها من قبل، وأن الحالات الشاذة لا ينبغي أن تُصنَعَ القواعد منها أبداً.

قطع حديثهما صوت ولوج أحدهم إلى الداخل، ظهرت أمارات البشرى على وجه صاحب المكتبة وقد أمر راجياً أن يقوم ليستقبل الزبون.

خطا راجي بضع خطوات من مكان جلوسه مع صاحب المكتبة حتى وصل إلى الممر الذي ينتهى عند باب المكتبة، قطع نصفه حتى أصبح الزبون في مرمى بصره....

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو على سبيل الدقة: حتى أصبحت الزبونة في مرمى بصره!

كانت هي نفس الفتاة التي ابتاعت منه اللوحة منذ بضعة أيام، عرفها من نفس السترة المخملية الزرقاء، ونفس رائحة العطر المميزة، ونفس قسمات وجهها الصغير الجميل، ونفس التفاصيل التي ليس من المفترض أن يهتم بها راجي بحكم طباعه!

عقد حاجبيه إثر رؤيتها مجدداً وقد أصابه العجب، فهو لم يشعر أبداً أن تلك قد تكون مجرد صدفة كتلك الصدف التي تحدث له دورياً ويتجاهلها، قال لها: "أوه، إنها أنتِ ثانيةً!" عقدت حاجبيها بدورها وابتسمت: "سيد راجي! يا لها من مصادفة جميلة!"
-أمتأكدةٌ أنها مصادفة؟!
=ماذا تعني؟!

شعر راجي بسذاجة وغباء سؤاله، وتمنى لو أن الأرض قد انشقت وابتلعته قبل أن ينطق به، لكنه حاول تغيير الموضوع: "لا بأس، أنا أعتذر منكِ....الجو حار وأنا لا أدري ما أقول و....أنتِ تفهمين بالتأكيد!"
اتسعت ابتسامتها وهي ترد: "بالطبع أفهم، بالطبع!"
-إذن...هل هنالك شيء محدد تبحثين عنه؟!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=نعم، جئتُ لأبتاع كتاباً أو اثنين عن العلاقات الأسرية.

أَسَرَّ راجي دهشةً في نفسه، فرغم أن راجي واسع الإطلاع على عدة مواضيع لكن يبدو أنها تهتم بنفس ما يهتم هو خصيصاً به، لا يمكن لكل هذا أن يكون مصادفة....على الأقل حتى الآن!
أشار راجي إلى زاويةٍ في المكتبة قائلاً: "تفضلي إذن، واعتبري المكان مكانك."

تخطته الفتاة دون رد فعل يُذكَر، وتجولت في المكتبة لبضع دقائق حتى انتهت، ثم عادت إلى راجي الذي كان لا يزال واقفاً في مكانه وقد شل التفكير والدهشة حركته، سألته عن سعر ما ابتاعته من كتبٍ فَقَدَّرَهُ لها، ابتسمت ودفعت له المال وقالت له: "بالمناسبة، الجو ليس حاراً اليوم على الإطلاق، بل معتدل!"

ابتسم راجي وقد ظهرت أدلة كونه محرجاً على قسمات وجهه، فضحكت الفتاة وقالت له: "قابلني أمام المعرض غداً في الخامسة عصراً، وسأعلمك شيئاً أو اثنين عن أحوال الطقس!"

ضحك راجي بدوره وأجابها: "حسناً، هذا أمر صعب نوعاً

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما..."
=جربني فقط!
-أنتِ لا تفهمين، لا يمكننا ان نحظى بموعد لمجرد أنكِ ابتعتِ مني لوحة في المعرض ووجدتني أعمل هنا صدفة!
=كنت أرجو ألا تفهمني بصورة خاطئة لكنك فعلت!
-لكن هذا موقف لا أستطيع أن أفهمك فيه بصورة صحيحة!
=حسناً، سنلجأ إلى الحل الوسط: فكر، وحضورك أو عدمه غداً سيحددان الإجابة.
-لا بأس، إذا كنتِ تصرين....
=أنا لا أصر على شيء، الإختيار لك!

قالت جملتها الأخيرة ثم قطعت الممر حتى وصلت إلى الباب وخرجت.
عاد راجي إلى صاحب المكتبة وتفاجأ بسؤاله الساخر: "هل ستقابلها حقاً؟!"
ضحك راجي قائلاً: " أيها العجوز اللئيم، إن سمعك حاد حقاً بطريقة ما! وعلى أية حال أنا ما زلتُ أفكر."
=هل تظن أنها مصادفة؟
-لا أؤمن بالمصادفات، بل بالقدر. لكن هذا قدرٌ غريب نوعاً ما!
=ولِمَ؟
-....إنها تشبهني في عدة أشياء، وكذلك ابتاعت من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعرض لوحةً لي سابقاً، واليوم أتت حيث أعمل وابتاعت كتاباً عن نفس ما أهتم به، ورغم أنني لم أفكر يوماً في أمور الإعجاب والحب إلا أنني....إلا أنني...
=إلا أنك حقاً تحتاج إلى التجربة!

لم تكن المغامرات والتجارب رغبةً ضمن رغبات راجي، لكنه قرر أن ينهي النقاش بالطريقة اللائقة قائلاً: "نعم، ربما تكون على حق، وربما يكون والدي أيضاً على حق!"

يوم ١٢

لم يكن استسلام راجي لصاحب المكتبة في حديثهما الأخير إلا إسكاتاً له، فرغم أنه يحب الرجل ويقدره إلا أنه يكره تمركز كبار السن حول ذاتهم فيما يتعلق بالتجارب الحياتية، حيث يرون المختلف معهم متهوراً ومدمراً لحياته ويحتاج وعظاً، والحل الوحيد لإنهاء النقاش معهم هو أن توافقهم الرأي وتفعل ما تريد لاحقاً، هذا ما يعرفه راجي ويعرفه كل شاب ذي عقل وفهم!

لقد وافق في قرارة نفسه على مقابلتها، بل ورغب في ذلك، ولم تكن موافقته ورغبته في الذهاب إلى الموعد نابعة من حبه للتجربة وكل هذا الهراء، وإنما أراد ألا يخلف الوعد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقط، وأن يكون رجلاً مهذباً في نظر نفسه وفي نظر الفتاة، وأيضاً لكيلا يؤذي مشاعرها، لأنها بدت سعيدة جداً وهي تلح عليه في القدوم.

ولكن راجياً يهتم دائماً بصورته أمام نفسه فقط، ولا يهتم حتى في الغالب لمشاعر أو رغبات أي أحد حوله، فَلِمَ أصبحت الفتاة دخيلة أصلاً على أفكاره الآن؟!
لِمَ يهتم بالموعد ويأخذه على محمل الجد من الأساس وهو الذي اعتاد ألا تثيره أغرب وأعجب الأمور في الحياة؟!

عموماً، فإن عدم إيمان راجي بالمصادفات ليس كما تخيلتموه، إنه يؤمن بوجودها كجزء من الحياة لكنه لا يؤمن بكونها ذات قيمة كبيرة أو محددة لشيء ما، ولكن ما حدث هذه المرة صدفة مميزة بأية حال، وتستحق البحث لمعرفة قيمتها الحقيقية، ربما يكره راجي المغامرات والتجارب بالفعل، لكن يبدو أنه في يوم ما سيكون على كل منا أن يغامر ولو لمرة واحدة، حتى ولو لم يكن راغباً في ذلك أو محباً له، وراجي لن يكون استثناءً من هذه القاعدة.

في الخامسة عصراً كان راجي بالفعل أمام المعرض منتظراً قدوم الفتاة، طالت مدة الإنتظار حتى تعدت العشر دقائق وقد أغضبه ذلك لأنه ليس ممن يحبون التأخر عن المواعيد،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكن شعوراً غامضاً داخله أجبره على الإنتظار حتى أتت بالفعل في تمام الخامسة والنصف، أمعن راجي النظر في وجهها الجميل وهي تعبر الطريق لتصل إليه، وعندما أصبحت على مقربة منه انكشف الغموض عن شعور راجي؛ لقد أحب رؤيتها وشعر بالراحة عند وجوده معها، وهذا ضد ما يريده راجي ولكن....

ولكن والده للأسف محق، والعجوز أيضاً للأسف محق، رغم ذلك فقد شعر راجي بغضب داخلي لأن بعض مبادئه التي ظل طويلاً مؤمناً بها قد انهارت لمجرد رؤيته لفتاة، لكن حاجته الشديدة لأحاسيس الأنس والراحة والطمأنينة طغت على ذلك الغضب، وأسكتت كل أصواته الداخلية المعارضة للموقف.

عبرت الفتاة الشارع ووقفت بجانبه وسألته دون أن تنظر إليه: "والآن ماذا نفعل؟!"
نظر راجي بدوره إلى الأفق وأجابها: "أنتِ حددتِ مكان وزمان اللقاء، ظننتُ أن لديكِ خططاً!"

ضحكت الفتاة ضحكةً عذبةً أثارت في نفس راجي عديداً من المشاعر والرغبات، ضمنها رغبة قوية في احتضانها وهي أكثر رغبة قاومها راجي!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قالت الفتاة: "أسمع أن علاج التائهين هو السير إلى الأمام، دعنا نَمشِ معاً إلى أن تتعب أقدامنا، عندئذ سنجد مكاناً لنجلس فيه."

أومأ راجي برأسه موافقاً، وسارا معاً لربع ساعة تقريباً دون أن ينطق أحدهما بكلمة!

وأخيراً قطعت الفتاة ذلك الصمت قائلةً: "لقد تعبت! انظر هناك....إنه مقهى، نحن محظوظَين بوجوده على مقربة منا، تعال نجلس على طاولة هناك."

اتجه راجي معها إلى المقهى دون كلمة واحدة، وكأنه يستمتع ويسعد بسماعها هي فقط تتحدث وتبدأ الحوار، حجز لهما طاولة وطلب كوبين من القهوة على حسابه، فابتسمت وأمسكت بذراعه قائلةً بشغفٍ مصطنع: "أوه....يا لك من رجل لطيف يا راجي!"

لم يُعِرها راجي اهتماماً أو ينظر حتى إليها، وإنما أنقذ ذراعه من بين براثن قبضة يدها واتجه إلى الطاولة ليتخذ مقعده، وراقبها تأتي وراءه بغضب بادٍ على ملامحها، وعندما وصلت إلى الطاولة وجد نفسه يقوم دون إرادته ويسحب مقعدها إلى الوراء قليلاً ويُجلِسَها عليه بلطف، ثم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يعود دون أدنى إدراكٍ أو وعيٍ إلى مقعده!

ابتسمت الفتاة وقد زالت عنها ملامح الغضب قائلة: "يا له من فعل لطيف غير متوقع منك!"

عقد راجي حاجبيه سائلاً إياها وهو لم يستوعب بعد ما قد حدث منذ قليل: "عن أي فعل تتحدثين؟!"

عقدت الفتاة حاجبيها بدورها وردت: "ما فعلته منذ قليل!"

فغر راجي فاه لوهلة، ثم أغمض عينيه وفتحهما بعد بضع ثوانٍ وسألها: "ما هو اسمك؟"

ردت: "اسمي هِيَام."
-اسمكِ جميل.
=أشكرك.
-....لِمَ تأخرتِ على الميعاد بالمناسبة؟
=فعلت ذلك لأرى ما إذا كنتَ ستنتظرني أم لا!
-وهل يشكل هذا فارقاً عندك؟!
=ما كنتُ فعلتُ ما فعلتُ لو أنه لا يفعل!
-ولكن لماذا؟ لقد رأينا بعضنا مرتين فقط حتى الآن وهذه الثالثة!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=الحقيقة أنك جذبت انتباهي منذ رأيتك لأول مرة في المعرض، وأنني طوال الأيام الماضية كنتُ أفكر فيك!
-وكيف جذبتُ انتباهكِ تحديداً؟
=في البداية أحببت لوحاتك، وظننت إما أنك عاشقٌ ومخلصٌ جداً لمعشوقتك، أو أنك تبحث عن الحب في مكان ما مع أحد ما، وبما أنك قد قبلت أن تأتي معي اليوم فإذن يمكننا أن نستبعد الإحتمال الأول، بالنسبة للإحتمال الثاني فلن نستبعده ولكن....سنتركه حتى يحدث ما يساعدنا في الحكم عليه بدقة!
-حسناً، لِنَقُل بأنني حقاً أبحث عن الحب، ما الذي يجعلك تظنين أنني قد أجده معكِ؟!
=أنت تستبق الأحداث وتمد بصرك إلى أفقٍ بعيد، أنا لم أقل هذا أبداً، لكن يبدو....أن الرغبة آتية منك أنت!
-....إذن، هذا كل شيء؟!
=هنالك شيء آخر لاحظته في المعرض، لقد أخبرتني بأنني أستطيع أن أقدر ثمن اللوحة التي سأشتريها بنفسي، وهذا أكد لي بأنك لست شخصاً مادياً يمارس فنه فقط ليكسب منه رزقاً، بل يبدو أن هذا الفن له قيمة أكبر بكثير عندك من مجرد النقود، أنتَ حقاً أفضل بكثير ممن عرفتُهم سابقاً!
-ممن عرفتِهم؟!
=...لقد مررت بتجربتين أو ثلاث عاطفيين، ولم أكن موفقة في أي منهم!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-والمفترض أنني التجربة الرابعة، صحيح؟!
=.....دعنا نحتسي القهوة قبل أن تبرد!
بدأ الإثنان الشرب، ولم يكملا الحديث حتى أنهيا الكوبين، فقد طغى التوتر على الأجواء وكان كل منهما يتمنى في تلك اللحظة لو أن تلك المقابلة لم تحدث من الأساس!

سألها راجي بجدية: "وما الذي تريدينه مني بالضبط؟!"
=لا أريد سوى أن أعرفك أكثر، وأن أكون قريبة منك!
-إذن هذا يعني أنني مجرد شخصٍ أثار فضولك؟
=الأمر ليس كما يبدو عليه....
-تريدنني أن أقتنع أن معرفتك بمكاني عملي واهتمامك بنفس مجال قراءتي من قبيل المصادفة؟ تظنيني أحمقاً؟!
=لكنها بالفعل مصادفة كل الأمر أنني أعجبت بك وتمنيت رؤيتك مجدداً، هذا حقاً كل ما في الأمر، أؤكد لك!

أخذ راجي نفساً عميقاً وأمعن النظر إليها ليلاحظ دمعةً تترقرق في إحدى عينيها، تعجب في قرارة نفسه من هذا التحول المفاجيء من شخصية أنثوية واثقة إلى فتاة شبه منهارة، لكنه كتم ذلك الشعور في نفسه، وقال لها: "كل ما في الأمر أنني لا أؤمن بالمصادفات، حسناً أنا أعلم أنها موجودة ولكنها غالباً لا تكون مصادفات، أنتِ تفهمينني بالتأكيد!"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=والشك بالطبع من حقك، لكنني أعدك بأن أحكي لك حكايتي لربما تغير فكرتك عني، لكن ليس اليوم لأنك لست مرتاحاً لوجودي كما أرى، سأعطيك رقم هاتفي وأطلب منك أن تتصل بي عندما تتوصل إلى قرار، هلا فعلت ذلك؟

-....لا بأس.

=عظيم، رقمي هو (..........)، فكر في الأمر فقط، ربما لديك أسبابك وتجاربك أيضاً وليست لديك رغبة في أن تعرف فتاة مثلي، أو أي فتاة بشكل عام، وربما أي أحد أصلاً وأنا أقدر ذلك، لكن إذا حدث وأصبحت مستعداً لتسمعني خلال الأيام المقابلة فاتصل بي لنحدد مكاناً وزماناً للقاء آخر، وإذا لم ترد ذلك.....أعدك ألا ترى وجهي مجدداً! هل اتفقنا؟!

-.....اتفقنا!

يوم ١٣

قرر راجي في ذلك اليوم أن يؤجل التفكير في أمر هيام، ويعود لهدفه الرئيسي الذي بدأ محاولات تنفيذه منذ فترة ليست بطويلة، ألا وهو محاولة الجمع بين والديه مجدداً، ورغم أنه كان يعلم أن كل الطرق مسدودة إلا أنه أراد فقط أن يريح ضميره ويشعر بأنه قد فعل كل ما بوسعه، لذا فقد استعد كي يزور والدته كعادته عندما يجد وقت فراغٍ مناسباً لهذا، وبالفعل قام وارتدى ملابسه وسار في شوارع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المدينة حتى وصل إلى منزل والدته - وقد عزم في نفسه أنه لن يحكي لها أياً مما حدث في الأيام الماضية بشأن هيام - توقف لبضع ثوان واستمتع بعبير الأزهار، ثم طرق الباب وانتظر الرد، مرت بضع ثوان قبل أن تفتح له والدته الباب قائلة: "راجي! كيف حالك؟"

أجابها راجي بعد أن دخل: "بخير، بخير!"

=فلتكن بخير دائماً يا بني.

-أتمنى ذلك.

=هل أعد لك شيئاً لتأكله؟ أم أنك تستمتع بطعامك السريع الذي تطلبه هذا كعادتك؟

-أستمتع بطعامي السريع الذي أطلبه هذا كعادتي!

=لو أنك فقط تمنحني فرصة لأعلمك الطهو...

-لِمَ انفصلتما حقاً يا أمي؟!

=.....أنتَ لن تتوقف عن السؤال أبداً، أليس كذلك؟!

-بلى، لن أتوقف!

=.....لا بأس يا راجي، سأتحدث إذا كنت مُصِرّاً شرط أن تعدني أن تكون هذه هي المرة الأخيرة التي نأتي فيها على ذكر هذا الأمر، أتوسل إليك يا راجي!

-....أعدكِ.

=.....مشكلة والدك أنه كان رجلاً سيء المظهر، لدرجة أنني كنت أشعر بالإحراج عندما تحدثني صديقاتي عنه، فكثيراً ما سخرن مني ومن اختياري له، أضف إلى ذلك أنه كان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بخيلاً عندما يتعلق الأمر بشراء شيء ما لي....وبالطبع ما كنت لأنسى أبداً بروده معي وتبريره لذلك أنها معاملة بالمثل!....وهذا كل ما لدي لأقوله بهذا الشأن!

-....سيء المظهر وبخيل؟! هل هذه حقاً أسباب تدفعك إلى....

=لقد انتهى حديثنا في هذا الأمر يا راجي، وقد قطعتَ وعداً لي منذ قليل أنك لن تأتي على ذكره مجدداً، فأرجوك ألا تخلفه!

-....لا بأس، لن نتحدث مجدداً.

=....كيف حال عملك بالمناسبة؟

-بخير.

=عله يكون بخير دائماً.

-....آمين.

يوم ١٤

"يبدو أنه لا مفر من بقائهما بعيدين عن بعضهما البعض!" هكذا حَدَّثَ راجي نفسه بعد أن درس تفاصيل حواراته السابقة مع والديه، لكنه لم يكن قد اقتنع بعد بكلام والدته بشكل كامل، لأن مبرراتها كانت سخيفة جداً في نظره وتنم عن امرأة أنانية وغير قنوعة، وهو لا يرغب في أن يُكَوِّنَ هذه الصورة السيئة عن والدته على الإطلاق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فما الذي قصدَتهُ بسوء المظهر وهو يعلم جيداً أن والده ليس مهملاً مظهره لهذه الدرجة؟
وما الذي قصدته بالبخل وهو يعلم أن والده لا يبخل عليه عندما يطلب منه مالاً يستعين به على حياته رغم أنه يعمل بالفعل؟

شعر راجي ببعضٍ من اليأس في قرارة نفسه، لكنه قرر أن يؤجل التفكير في مهمته المقدسة تلك إلى وقت لاحق كي يتفرغ في الوقت الراهن لهيام، اتصل بها بالفعل وأخبرها أنه متفرغ اليوم ويستطيع أن يقابلها، لاحظ راجي سعادتها البالغة من نبرة صوتها على الهاتف وهي تحدد له المكان والزمان للقائهما، شعر لسعادتها بأنه سعيد وهذا شعور أجنبي عن عقل راجي، ولكنه ما كان لينكر أنه استمتع به وتمنى دوامه!

في تمام السابعة والربع كان راجي يسير متجهاً إلى شاطيء البحر ليقابل هياماً، وقد ظل يفكر طوال الطريق بأنه يحتاج إلى من يقص عليه قصته، ويشارك أحزانه معه، ويبوح له بما يعتمل في صدره، وبالطبع كانت هيام هي المقصودة بذلك.

لكنه تعجب من كونه يرغب بفعل هذا مع هيام رغم أنه لم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يفعلها كثيراً مع رفاقه في المعرض مثلاً ولا مع أي أحد آخر، إنه حتى يشعر هذه المرة مع نمو الفكرة في عقله أنه نوعاً ما يسير على قدميه نحو الخلاص، إنه لم يعد يرغب بحل المشكلة بقدر ما يرغب بالبوح بها، ولكن السؤال لا زال قائماً: لِمَ يرغب بالبوح لهيام تحديداً؟!

كل هذه المشاعر جديدة على راجي، لكنها ليست حقاً بهذا السوء، وغالباً ليست ضارة وهذا هو الأهم.

وصل راجي ليجد هياماً جالسةً وحدها تتأمل البحر، جلس بجانبها وقال مازحاً: "ما زال الوقت مبكراً على هذه الأمور الرومانسية!"

ضحكت هيام قائلة: "خير البر عاجله!"
-كيف حالك؟
=سعيدة لأنك أتيت.
-....أخبرتِني المرة السابقة أنك مستعدة لتقصي علي قصتك.
=أنا كذلك بالفعل، لكن هل أنت مستعد لسماعها؟
-كلي آذانٌ صاغيةٌ!
=....ألا يمكن أن نؤجلها؟
-لكِ ما تريدين، ولكن لماذا؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=لأنها قصة حزينة، وأنا الآن سعيدة بوجودك ولا أود أن أفسد شعوري!

-....سبب منطقي!

=ألديكَ أنت قصة تقصها؟

-نعم، لكنها حزينة، وأنا الآن سعيد بوجودك ولا أود أن أفسد شعوري!

=فقط قصها يا راجي، لأنني أريد أن أستلذ بسماعك وأنت تقصها، أما قصتي وصوتي فقد مللت منهما!

-يا لكِ من مراوغة ماهرة!

=أشكرك، وأعلم هذا!

-لا بأس إذن، إذا كنت تُصِرِّين...

حكى لها راجي كل ما استطاع أن يتذكره، حكى لها عن الجفاء الذي لاحظه بين والديه وهو صغير، وكيف تطور إلى انفصالهما وحياة كلٍّ منهما وحده عند بلوغه سن الثانية والعشرين، وأن كلاً منهما يعمل منذ ذلك الحين في وظيفة مختلفة ليسد حاجاته، وأن راجياً يحيا وحده في شقة بإيجار في أحد أحياء المدينة، وحكى لها كذلك عن عمليه اللذين يكسب منهما ما يعينه على الحياة، وعن زياراته المتكررة لأهله وقت فراغه....حكى لها كل ما استطاع أن يتذكره، لا ما أراد أن يتذكره!

أمسكت بيده وقالت مواسيةً إياه: "أرجو أن تكون قد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحسنت ولو قليلاً بعدما حكيت حكايتك لي، ليس لدي حل مؤكد ولكن المؤكد أنني سأنصت إليك دائماً بكل شغف حتى لو قصصت علي القصة ألف مرة!"

-أشكرك يا هيام، وسأعترف أنه هنالك راحةٌ تغمر قلبي بالفعل الآن، وهذا بفضلك.

=يسعدني سماع هذا حقاً.

-....لن أطلب منكِ أن تقصي قصتك حتى تقرري أن تقصيها بنفسك!

=أعدك أنني سأفعل، لكن ليس اليوم.

-لا بأس، إنه قرارك في النهاية.

= ....راجي، انظر إلى الشمس، إنها تغرب!

-إنها تغرب منذ جئت!

=قِف يا عزيزي، دعنا نفعل شيئاً رائعاً!

أذعن راجي لرغبتها ووقف بالفعل، فوقفت بدورها هي الأخرى وأمسكت كفه وأمرته أن يرفع ذراعه فنفذ أمرها، فإذا بها ترقص بالدوران حول نفسها ثم تقترب وتطوقه بذراعيها قائلة: "لقد أحيينا لوحتك الجميلة التي اشتريتها منك في ذلك اليوم، يمكنك أن تشكرني لاحقاً!"

ابتسم راجي بسعادة بالغة، واستسلم لرغبتها ورقصا معاً في مشهدٍ بَهِيٍّ خَلّابٍ مُزَيّنٌ بجمال الغروب، وقد شعر لأول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مرة بما لم يشعر به طيلة حياته حتى تلك اللحظة: شعر بأنه يحبها!

يوم ١٥

منذ أن استيقظ من نومه، كان راجي يعيد أحداث يوم أمس في عقله، ويتذكر ذلك الدفء الذي شعر به وهو يرقص مع هيام، ومن فرط لذته ظل يحاكيه ويعيد محاكاته في عقله مراتٍ ومراتٍ؛ فلقد كانت هذه المرة الأولى التي ينبض فيها قلبه الميت منذ سنوات، والمرة الأولى التي يكون فيها سعيداً بهذه الطريقة، لدرجة أنه فكر لوهلة في التخلي عن مهمته المقدسة، وأن يمنح نفسه فرصةً ليجرب الحياة السعيدة بدلاً من محاولة منحها لوالديه اللذين ينتظران موتهما وحيدين، لكنه سرعان ما نبذ هذه الفكرة وعاد إلى صوابه، وشعر في قرارة نفسه أن ما حدث بالأمس كان خطأً كبيراً لا ينبغي أن يتكرر، هو لم يقصد الحب والشعور وما إلى ذلك وإنما كان يعني الأحضان والرقص، لقد تعجلا في هذه الأمور نوعاً ما، وشعر بأن هياماً قد تظن به ظن السوء رغم أنها هي التي طلبت منه أن يفعل ما فعل وشجعته عليه؛ لذا فقد قرر أن يهاتفها ويعتذر منها عما حدث، وبالفعل اتصل بها عندما شعر بأنه مستعد للتحدث واعتذر قائلاً: "هيام....ربما نكون تسرعنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قليلاً يوم أمس، لا أدري ما ظنكِ بي الآن ولكني حقاً آسف....أنا آسف يا هيام!"

لم يصدق راجي بالفعل أنه ولأول مرة في حياته ألقى بالاً لرأي أي شخص به أو لنظرته إليه، ولكن شعور حبه الشديد لهيام صارعَ شعوراً آخر بتقييد الحرية، وصارع خوفاً شديداً من أن يصبح عبداً لها ولآرائها ونظرتها وأوامرها، لكن الأوان كان قد فات على سحب الكلام، وما حدث قد حدث!

إنه حتى لم يدرِ حقاً لِمَ اعتذر، هل فعلها لأن الأمر فعلاً لم يكن مهذباً رغم رضاهما عنه؟
أم لأنه لم يُرِد أن يفعلها ولا يريد أن يفعلها ثانيةً – وهذه المرة كان يقصد شعور الحب نفسه – لأن هذا قد يثنيه عن مهمته المقدسة ويزرع بذور الأنانية في نفسه؟!

هو لم يدرِ أبداً، لكنه كان متأكداً أنه فعل الصواب.

ردت هيام بعد دقيقة من الصمت: "لا بأس يا راجي، حقاً لا بأس، لقد كنا نحيا دون المشاعر والعواطف لفترة طويلة، وقد كان بديهياً أن نفعل ما فعلناه عندما شعرنا بأن فرصتنا قد أتت لنشعر أخيراً بما يحب المرء أن يشعر به، لقد كنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مثل حيوانين جائعين مسجونين، لكن نفسيهما هما الجائعتان وتريدان المشاعر الطيبة لا الطعام.....لا تدعنا نَلُم بعضنا على ما لم يكن لنا يدٌ فيه!"

ابتسم راجي إعجاباً بكلامها، رغم أنه لم يقتنع به بصورة كاملة، لذا فقد قرر أن يغير موضوع الحديث، وبالفعل تحدثا في أمور دنيوية أخرى حتى اضطر راجي لإغلاق المكالمة لأن موعد عمله في المكتبة قد اقترب.

استعد راجي وارتدى ملابسه، وذهب إلى المكتبة عازماً على قص ما حدث على صاحبها، فهو الشاهد الأول والوحيد على بداية الأمر بينهما ويستحق أن يعلم بما حدث، أما عن أصدقائه في المعرض الفني فهم لم يشهدوا شيئاً يجعلهم مستحقين لسماع حكايته، ووالديه بالطبع هما آخر من قد يفكر بإعلامهم لأسباب لا حاجة لذكرها!

وصل وألقى التحية على صاحب المكتبة، ودون أن يسأله الرجل عن أحواله بدأ راجي يقص عليه ما حدث بسعادة بالغة، فقد كان هذا أعظم ما حدث له في حياته على الإطلاق!

وعندما أتى على ذكر الجزء المتعلق بتسرعه مع هيام

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذعانه لرغباتها شعر ببعض من تأنيب الضمير، لكنه تذكر كلمتها وتذكر قبولها لما حدث، فسكت ضميره ومات تحت أقدام رضاها!

أنهى راجي حكايته دون أن يذكر تفاصيل مكالمته واعتذاره لها، ومرت بضع ثوان قبل أن يبتسم الرجل قائلاً: "لا تدع ذلك يشعرك بالسوء يا راجي، الأهم أنك الآن قد وجدت فرصتك لتشعر بما نحب جميعاً أن نشعر به، ولقد مر عليك وقت طويل كنت فيه تقريباً عديم المشاعر، من الطبيعي والبديهي أن تكون متسرعاً في الإقتراب أكثر من سعادتك، لقد كنت كحيوان جائع محبوس يا راجي، وأمثالك من الحيوانات الأخرى المحبوسة لا يحتاجون غذاءً سوى الحب!"

عقد راجي حاجبيه لبضع ثوان ثم ضحك قائلاً: "لا أدري ما إذا كانت هذه مصادفة، لكنني بصراحة هاتفتها قبل أن آتي واعتذرت منها فوجدتها تقول كلماتٍ مثلك نوعاً ما، ألا تجد هذا غريباً؟!"

=لا، ربما أنت تفعل لأنك لا تؤمن بالمصادفات، أما بالنسبة لي فهذه....

-هل أتت هيام لتبتاع أي شيء آخر منذ ذلك اليوم؟!

=لا...

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-بالطبع لا، لكنني ما زلت لا أصدق أن هذه مجرد مصادفة....هل هناك ما تخفيه عني؟!
=....أنت صعب الخداع يا راجي، وأنا أعرف بأنك لن تصمت حتى تعرف كل شيء...
-خداع؟! ما الذي...
=هيام هي ابنتي الوحيدة يا راجي، وقد كانت مستاءة أيضاً مما حدث ولكنني بررت لها الأمر بتلك الكلمات، ويبدو أنها قد أعادتها على مسامعك....
-أخبرني أنك تمازحني!
=لا أستطيع أن أكذب عليك أكثر من ذلك!

دفن راجي رأسه بين كفيه لبضع ثوان، ثم ضرب المنضدة الخشبية الماثلة أمامهما بقوة قائلاً بغضبٍ ظهر على ملامح وجهه لا في نبرة صوته: "لقد كذبت علي، وأنا لا أحب هذا، لا أحبه على الإطلاق!"
=لا أحد منا يحبه يا راجي، وأنا حقاً لا أدري كيف أعتذر لك، لكن....أنا حقاً وصدقاً آسف!
-.....أنت تتوقع أنني سأتعامل مع الأمر بشكل عادي، وأنني سأقبل اعتذارك بهذه السهولة، أليس كذلك؟!
=بل أنا متأكد أنك لن تفعل، ولو أنك فعلت ما كان الأمر ليكون منطقياً على الإطلاق! لكنني ايضاً أستطيع ان أقدم لك لمحة عن حياة هيام لربما تتفهم....

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-كل ما أريده منك هو أن تأمر ابنتك بالإبتعاد عني، وأن تعتبر أن ما حدث لم يحدث، مبرراتك لن تشكل فارقاً كبيراً، كيف لي أن أحب كاذبةً وأثق بها؟!

=أنا من أخبرها أن تكذب يا راجي، لا تَلُمها، هيام ليست كاذبة كما تظنها!

-أنا لا أظنها كاذبة، بل أنا متأكد من ذلك!

=راجي، أرجوك أن تسمعني فقط....

-إذا أردتني أن أبقى معك هنا فلتأمر هياماً بالإبتعاد، ولا تحاول تبرير ما حدث أو تغييره، اصمت!

ساد الصمت لبضع ثوان، ثم قطعه راجي قائلاً: "لقد جَعَلْتني أوشك على إنكار ما آمنتُ به من مبادئ وقناعات، لقد شعرت لوهلة أن الأمر قد يكون حقاً صدفة ولكنني كنت مخطئاً، ظننت أنني ربما أصبح بحال أفضل إذا تغيرت بعض الأمور ولكن لا....لا فائدة، لا أريد أن أتغير، أريد أن أظل كما أنا!

=هذا ما جعلني أحثها على الكذب يا راجي؛ علمي بأنك ما كنت لترضى برؤيتها بإرادتك، لذا فحينما أخبرتني عنك يوم ابتاعت منك اللوحة في المعرض أخبرتها أنك تعمل عندي عندما وَصَفْتَكَ لي، وأخبرتها أنك رافضٌ وكارهٌ ونابذٌ لمشاعر الحب بل وحتى لتكوين الصداقات مع من حولك، كلانا يعرف أنك بلا أصدقاء يا راجي وليس هنالك من يستطيع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن يحيا لبقية عمره هكذا، لقد أشفقتُ عليك وأردت فقط أن أساعدك....

-من أعطاك الحق أن تفعل؟! أظننتَ أن تلك الأعوام التي عملت فيها معك تعطيك حق التصرف كأنك والدي أو ما شابه؟!

=....لك كل الحق فيما تقول، وربما لا تجدني مناسباً لأكون بمقام والدك وهذا حقك، ولكنني وجدتك وما زلت أجدك وسأظل أجدك مناسباً لتكون بمقام ابنتي هيام، كل ما أطلبه منك يا راجي أن تسمعني حتى النهاية....

-مهما قلت فلن يتغير شيء، صدقني!

=لا أريد أن يتغير أي شيء، هذه حياتك وحريتك وأكرر لك اعتذاري على اقتحامها، لكنني أريدك فقط أن تسمع حكايتي القصيرة من بدايتها إلى نهايتها، وعندئذٍ افعل ما تريد.

-....لا بأس، تحدث، ولكن أوجز!

=عندما أتمت هيام عامها الخامس عشر توفيت زوجتي، وهيام فتاة حساسة جداً أكثر مما تتخيل، لذا فإنها حتى اليوم لا تستطيع تجاهل الأمر أو نسيان والدتها...

-وماذا عنكَ أنت؟ هل نسيتها؟!

=وما الفارق بين نسيانها وبين تذكرها يا راجي؟ إنني اليوم أحيا منتظراً نهايتي وحسب، في أيامي تلك لا فائدة من التذكر، أو الشعور بالشوق أو الحب أو الندم، لا فائدة من أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تشعر بأي شيء أصلاً يا راجي، لا فائدة من أن تعيش من الأساس غير أنك تنتهز فرصة أخيرة لتكفر عن ذنوبك وتصبح نظيفاً قبل أن تتوفاك المنية، ومن يحصل على هذه الفرصة فهو شخص محظوظ بالتأكيد!

-وإذن كذبت علي لأنك أردت أن تطمئن عليها قبل أن توافيك المنية!

=هذا سبب لن أنكره، إلى جانب خوفي الشديد عليك ورغبتي في أن تحيا حياة أفضل....

-أنت لم تخش علي من شيء، لقد رأيتني مجرد وسيلة لضمان سعادة ابنتك!

=هلا تركتني أكمل؟!

-أكمل، وانتهِ بسرعة!

=هيام أرادت فقط أن تشعر بالحب خارج حدود وجودي معها، ولذا فقد دخلت عدة علاقات عاطفية لم تكن موفقة كلها....

-أمر بديهي، ما كان أحدهم ليقبل بأن يمضي أيامه مع كاذبة!

=لم يكن هذا هو السبب الرئيسي، هيام لم تكذب أبداً قبل أن آمرها أن تفعل معك، وجه اللوم لي لأن هياماً فتاة طيبة تريد أن تطمئن بحب أحد ما فقط....

-كف عن وصفها وأنهِ قصتك!

=اولئك الذين أحبتهم هيام كانوا.....حسناً، لقد كان كل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واحد منهم سيئاً بطريقته الخاصة، أحدهم كان يتلذذ بتعنيفها بالكلام وغيره، والآخر خانها مع فتاة أخرى، وهكذا...!

-والمفترض أن أتعاطف معها الآن وأذرف دموعاً، لليس كذلك؟!

=كلا، المفترض أن يحدث ما تريده أنت أن يحدث، إذا كنت لا تريد ابنتي فلا بأس، سأخبرها بذلك ولن تراها ثانية، لكن...ألن يكون من الحكمة أن تتريث وتفكر في الأمر؟

-....لو أنك فقط أخبرتني بالحقيقة منذ البداية، حتى ولو كنتُ قد رفضت ودبرتَ أنت لقاءً بيني وبينها هنا، لكان الأمر مختلفاً وصادقاً، ولكن هذا الأمر لا يختلف كثيراً عن لعب أطفال الحضانات مع بعضهم! وبالمناسبة نسيت أن أسألك: ما الذي جعلك تظن بأنني سأكون أفضل ممن عرفتهم هيام؟

=لأنني أعرفك وأحفظ طباعك وأعلم بأنك شخص صالح، وأفهمك جيداً....

-لا تَدَّعِ أنك تفهمني أيها العجوز!

=لا أدعي ذلك بل إنني متأكد منه، أعلم أن خطيئتي في هذه الحكاية هي الكذب، لكن خطيئتك أكبر من خطيئتي بكثير، إنك تقتل نفسك وتعذبها بقسوة بالغة وتحرمها من طيبات الحياة ولأجل ماذا؟ لأجل حياة أوجدتها في عقلك تعلم جيداً أنك مهما فعلت فلن تحياها، إنك طبقاً لما حكيته

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لي منذ فترة تحاول أن تجعل والديك يعودان إلى بعضهما صحيح؟ حتى لو عادا يا راجي فلن يكون بينهما الحب الذي تتخيله، الحب إذا مات مرة فإنه لا يحيا مجدداً إلا في حالات نادرة، لا ترهن حياتك بإحتمال أن يكون الحب بين والديك إذا عادا إلى بعضهما ضمن هذه الحالات النادرة!

-.....أنت حقاً تظن الأمر سهلاً، ألا تفعل؟!

=لم أقل ذلك، ولكن الفرص لا تأتي كثيراً في العمر يا راجي، وطالما أنك لا تزال حياً إذن فما زالت الفرصة أمامك.

-الفرصة لأفعل ماذا؟

=أن تنقذ حياتك!

-....لا أدري حقاً ما تقول، ربما تكون على حق وأنا أحاول إنكار ذلك....أنا فقط لا أدري!

=راجي، أرجوك....انظر إلى الأمر من منظور آخر وخذ وقتك في التفكير، الأمر لا يتعلق بي أو بهيام، إذا كنت تريد أن تجرب الحب فليس ضرورياً أن تجربه معها وسأحترم ذلك، المهم الآن هو ألا تظل على تلك الحال، أرجوك فقط أن تتريث وتعيد التفكير في نفسك قبل أن تفكر في أي أمر آخر.

-....سأفعل، لكن اعذرني لأنني لن أستطيع أن أعمل اليوم، أريد إجازة لبضعة أيام.

=وهذا حقك، ولن أحرمك منه.

-فقط لا تخبر هياماً بما حدث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=لن أفعل، سأترككما تجدان حلاً لهذه المشكلة مع بعضكما، رغم أنني أعلم أنها من افتعالي.

تركه راجي وغادر المكتبة دون أن يعقب، ثم عاد إلى المنزل وقد عزم على عدم التفكير في الأمر حتى يصبح ذهنه صافياً، وبالفعل استلقى راجي على سريره بمجرد أن وصل وبدل ملابسه عاقداً النية على ألا يفكر في الأمر قبل أن يمر يوم واحد كامل....على الأقل!

يوم ١٦

نال راجي ما يحتاجه من الراحة وزيادة، ثم صفى ذهنه تماماً وبدأ بالتفكير في حدث يوم أمس، فظل يعيد كلمات الرجل في رأسه مراراً وتكراراً حتى فطن إلى صحتها وإلى حقيقة أن خطيئة الرجل لا تساوي مثقال ذرة بالنسبة لخطيئته هو، وأنه بالفعل يقتل نفسه ويدمرها دون أن يدري بجعل محور حياته هي مهمته المقدسة تلك، وبناءً على هذه الإكتشافات قرر أنه سيؤجل التفكير في المهمة فقط ولكن لن يوقفها.

كان راجي لا يزال يشعر بالغضب من كذب هيام والرجل عليه، ويشعر أن كبرياءه قد جُرِحَت بشدة، لكنه رأى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صورتها مجدداً في عقله، وتذكر رقصهما على الشاطئ، وتذكر صوتها الحنون الدافئ وهي تتحدث، وتذكر ملامح وجهها الجذابة الخلابة، بل ولأول مرة تخيلها نائمةً معه في سرير واحد!

لكنه سرعان ما نبذ هذه الفكرة حتى لا تتطور إلى ما هو أسوأ، على الأقل حتى يحدد ويتأكد من طبيعة مشاعره تجاهها.

ولكن هل يحتاج الأمر حقاً إلى تحديد وتأكيد؟ إن كل الأدلة تؤكد على حبه الشديد لها، وأبسط هذه الأدلة أن صورتها في عقله هي التي طغت على غضبه بشكل شبه تام، وحولته من غضب شديد إلى مجرد ضيقٍ بسيط، ضيق تمنى راجي أن يزول إلى الأبد حتى تصبح نفسه صافيةً من ناحيتها؛ فيتفرغ لحبها وعشقها والغرام بها.....آه!

إنه الآن يعلم طبيعة مشاعره تجاهها، إنه بكل تأكيد يحبها حباً جماً!

لكن أهو أمر منطقيٌّ أن يكن كل هذا الحب لها في قلبه وهو لم يرها سوى أربع مرات؟ إنه يعلم أنه يحبها ولكن كفره بحب النظرات الأولى السريع ذاك ما زال يناضل بقوة لأجل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السلطة على بقية المشاعر المتصارعة في نفس راجي!

ولكن مهلاً، إنه ليس حباً من النظرات الأولى، فالنظرات الأولى كانت في المعرض ولم يشعر هو تجاهها بأي شيء وقتئذٍ، إذن يمكنه أن يستبعد هذا الإحتمال.

هذا يبدو مقبولاً، لكن ما لا يمكن أن يكون مقبولاً هو بحث هيام العشوائي عن الحب، فهي - طبقاً لما سمعه من والدها - تبحث عن أي شخص مناسب لتحبه، يبدو أنها ترى الأمر كأنه لعبة أو شيء من هذا القبيل!

وفجأة أخذ شعورٌ جديد بأنه مجرد تجربة أو لعبة بالنسبة لهيام مكاناً في حرب المشاعر الدائرة في نفسه، بالطبع ولِمَ لا؟ ماذا لو أن هياماً تتسلى به وحسب؟!

اشتدت الحرب، وأتى عقل راجي بحيلة ذكية لإيقافها مؤقتاً: سيتصل بهيام ويطلب مقابلتها، والشعور الذي يربح ويتصدر بقية المشاعر أثناء لقائهما سيكون هو الفائز، وربما للأبد!

وبالفعل هاتف راجي هياماً واتفقا أن يتقابلا في نفس مكان وتوقيت المرة الفائتة، ولم يأتِ على ذكر أي مما حدث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالأمس.

وصل راجي إلى الشاطئ في تمام السابعة، وجلس بجانبها كما اللقاء السابق، بدت البهجة على وجه هيام بحضوره وهي تقول له: "وصلت مبكراً هذه المرة!"

ابتسم راجي وقال دون مقدمات: " لقد كذبتِ عليّ!"

وكما المتوقع حاولت هيام المراوغة، فقالت بمرح: "كذب؟ لا أعي جيداً ما تتحدث عنه!"
-لا تراوغيني يا هيام، لقد علمت من والدكِ كل شيء، ولكن أسوأ ما عرفت أنكِ تنظرين إلي على أنني تسلية أو تجربة ليس إلا!

صمتت هيام لبضع ثوانٍ ثم انفجرت في البكاء، وقالت من بين دموعها: "طبقاً لما أخبرني إياه والدي بشأنك تأكدت أنك لن تقبل بمرافقتي، ومنذ أن كذبت عليك أشعر بالإشمئزاز الشديد من نفسي، وأقسم لك أن تلك ليست مجرد مبررات أسوقها إليك كي أخدعك، أنت لست تسلية أو تجربة بالنسبة لي، أنا أحبك حقاً!"
-لكنك بالتأكيد قلت هذا لمن هم قبلي يا هيام!
=كلا يا راجي، لم أخبر أياً منهم على الإطلاق أنني أحبه؛

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لأنني لم أكن أفعل حقاً ولأنني لم أشعر بمعنى الحب وأفهمه إلا بعدما عرفتك، وأنت الوحيد الذي قلت له أنني أحبه ومن كل قلبي!

ازدادت دموعها، وفي المقابل ازدادت مقاومة راجي لرغبة دفينة شديدة بأن يقسو عليها ويصفعها على وجهها، لكنه نجح في المقاومة بعد عناء؛ إذ أنه وجد نفسه يحيط كتفيها بذراعه ويقول: "ما كان عليكِ أن تفعلي ذلك يا هيام، ما كانت هنالك ضرورة للعب الأطفال هذا....اهدئي يا هيام، أنا آسف لأنني بدأت الحوار بهذه الطريقة..."

قاطعته: "لا....لا تعتذر، أنا المخطئة الوحيدة ولا تحاول أن تقنع نفسك بغير ذلك، أنا آسفة يا راجي رغم أنني أعلم أن أسفي لن يكون كافياً بالنسبة لك....إذا كنت تريدني أن أبتعد عنك....

-لا، لا أريدك أن تبتعدي، أريدك فقط أن تعديني بأن لسانك لن يتفوه بالأكاذيب مجدداً، أما عن حياتك ومبرراتك وكل هذا فأنا أقدره.

=راجي.....لست مضطراً لخداع نفسك من أجلي، لا تجعلني أغلى عندك من كبريائك وعزة نفسك!

-كلا يا هيام، أنا لا أخدع نفسي أو أدهس كبريائي وعزة نفسي، إنني فقط أسير على طريق النور وأنتِ أهم خطوةٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيه، ربما بفضلك أخيراً سأخرج من ذلك الظلام الذي حبست نفسي فيه لوقت طويل، لا أستطيع أن أتخلى عنك أو أبتعد عنك!

=.....أنا لا أدري ما أقول....وما زلت لا أصدق أنك تجاهلت ما فعلته وسامحتني، ماذا لو أنك تقربني منك كي تنتقم مني لاحقاً وتفعل بي أسوأ مما فعلوه بي قبلك؟!

-....يا هيام! إن الأمر سخيف لا يستحق سوى الغضب والعجب، أما الإنتقام فهذا أكبر مما يستحقه بكثير!

=يبدو أنه علي أن أصدقك.

-نعم، عليكِ ذلك!

ظلا يتأملان البحر دون حديث حتى غربت الشمس، عندها ابتسمت هيام قائلة: "أحب علاقتنا تلك يا راجي، فبطلاها اثنان خائفان يصارحان بعضهما البعض بمخاوفها أملاً منهما أن تزول، إنني أشعر أننا طفلان يكتشفان العالم من حولهما للمرة الأولى!

ضحك راجي: "نعم....طفلان!"

=يبدو أن وقت المغادرة قد حان.

-أجل، هل تريدين أن أوصلك....

=كلا، أحتاج أن أسير وحدي لبعض الوقت هذه الليلة.

-هيام....أنا لست غاضباً منك، وأستطيع أن أقسم على ذلك!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=أصدقك يا عزيزي، ولكنني بالفعل أحتاج أن أكون وحدي هذه الليلة، هلا منحتني بعض الخصوصية؟

ضحك راجي قائلاً: "خصوصية؟ لم نصل إلى هذه المرحلة بعد!"

ضحكت بدورها وهي ترد: "أعلم أيها الأحمق، أنا فقط أمازحك!"
-حسناً، لا بأس، إليك ما تريدين...سأعود أنا إلى المنزل.
=نعم، عد إلى المنزل يا رب المنزل!
-....إلى اللقاء يا هيام.
=إلى اللقاء يا حبيبي!
-....هل ما سمعته تواً صحيح؟!

غمزت بعينها قائلة: "كلا، زلة لسان....فنحن لم نصل إلى هذه المرحلة بعد!"

ضحك راجي، وقام تاركاً إياها وسار عائداً إلى منزله، مفكراً فيما حدث، ملاحظاً أن شعور الحب قد انتصر وأصبح ملكاً على بقية مشاعره المتصارعة على السلطة، وهذا هو ما جعله سعيداً جداً تلك الليلة لدرجة أنه نام بمجرد أن عاد إلى المنزل دون أي تفكير عميق في الأمر!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يوم ١٧

استيقظ راجي في اليوم التالي وهو لا يزال سعيداً في أعماقه بأن حبه لهيام قد حرره من كل تلك الأصوات الكثيرة في عقله التي قيدت حريته وسلبت منه نفسه في الأعوام الفائتة، وأنه أخيراً حصل على فرصة ذهبية لِيَحيا!

لكنه رغم ذلك لم يكن قد تخلى عن مهمته المقدسة بشكل كامل، وإنما أحب أن يجرب مجدداً وربما للمرة الأخيرة؛ لذا فقد قرر ان يزور والده ويجعله هو الآخر يعترف بأسبابه التي ينفصل عن زوجته، وهذه المرة كان راجي متسامحاً مع احتمال فشله؛ لأن الأمر ما عاد يشكل فارقاً كبيراً بالنسبة له؛ لأن هياماً وحدها أصبحت تهمه وتشغل باله!

ذهب راجي بالفعل إلى منزل والده وطرق الباب، مرت بضع ثوان قبل أن يفتح الوالد الباب ويرد: "راجي! ادخل يا بني، كيف حالك؟"

دخل راجي بعد أن أجابه: "إنني بخير، نوعاً ما!"
=ماذا عن عملك؟
-الأمور تسير على نحو جيد.
=أدعو الله أن تظل هكذا دائماً.
-....أبي!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=أجل يا بني؟
-هل لي أن أسألك سؤالاً؟
=....هل لك أنت أن تنتظرني حتى أعد لك ما تأكله أولاً؟
-أنا لست جائعاً يا أبي، لن أكون جائعاً في كل مرة آتي إليك فيها!
=صحيح، هذا منطقي! إذن فلتطرح سؤالك.
-....لِمَ انفصلتما حقاً؟!
=....لِماذا لا تستطيع أن تتوقف عن طرق أبواب الماضي يا راجي؟!
-لأنني لا أستطيع!
=لكن هذا أمر سيء، إذا فعلتها مرة ستفعلها مرة أخرى حتى تصبح عادة....
-أجب عن السؤال، لا تغير الموضوع!
=....بالنسبة لأسبابها فالله وهي أعلم بها مني، أما بالنسبة لأسبابي فهي ليست كثيرة لكنها نوعاً ما خطيرة، أو حسبما ظننت أنا، أولها أن والدتك كانت تُشعِرُني أنني لست موجوداً حتى بالمنزل!...فهي مثلاً لم تهتم بمظهرها كي تثير إعجابي، بل إنها حتى نادراً ما سألت عن أحوالي، وثانيها أنها كانت تغضب دون مبرر من كل صغيرة وكبيرة، وثالثها العناد لمجرد التقليل مني ومن كلمتي، أضف إلى ذلك طلباتها السخيفة والمتجددة كسبب رابع، وسخريتها من شكلي كخامس....لذا عندما شعرت أنني اكتفيت....طلقتها!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-.....و؟
=.....لا شيء آخر لأقوله يا راجي، هذا كل ما في الأمر!
-.....ولِمَاذا قد تفعل أمي أموراً كتلك؟!
=هي أدرى بنفسها مني يا بني.
-أعلم ذلك ولكن لِمَ لا تكون أفعالها ردود أفعالٍ لأفعالٍ أخرى صدرت منك ولم تعجبها؟ صارحني يا أبي...
=الأمر ليس متعلقاً بي أبداً، في الواقع تمنيت لو أنني كنت السبب فعلاً، على الأقل كنت سأكون عالماً بمبرر كراهيتها!
-....هل....تزوجتما عن حب؟ أعني....كيف وصل الأمر إلى تلك الدرجة؟!
=هذه هي المشكلة، أنني تزوجتها عن عشقٍ وليس عن حب، وسؤالك هذا لا أجد له إجابة منذ وقت طويل!
-.....أنا آسف يا أبي!
=لا بأس يا راجي، لا بأس، لكن سأطلب منك أمراً واحداً.
-تفضل يا أبي.
=لا تحدثني عن والدتك مجدداً، أرجوك، لا وسيلة لنعود إلى بعضنا مجدداً صدقني، فقط تجاهل الأمر وامض بحياتك، دعني أمت وأنا ناسٍ أمرها!
-.....لا تقلق، لن أحدثك عنها مجدداً!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يوم ١٨

كما المتوقع فإن ما حدث بالأمس شغل بال راجي، لكن هذه المرة كان الأمر مختلفاً بعض الشيء، لأن راجياً لم يكن ما يشغله أمر عودة والديه إلى بعضهما لأنه أدرك في قرارة نفسه أن الأمر شبه مستحيل ويحتاج أن ينظر فيه لاحقاً، إنما ما كان يشغله حقاً هو أمر الحب الذي بينه وبين هيام، فما الذي يجعل هذا الحب مميزاً عن الحب الذي حدث بين والديه سابقاً؟!

لقد أخبره والده من قبل تحديداً أنه عليه أن ينسى أمرهما وأن ينظر في أمره هو، وأنه يستطيع أن يحيا حياةً مختلفة عن حياتهما، إذن فَلِمَ يخشى المحاولة الآن؟

إنه يعلم أن حالة والديه مجرد حالة لا ينبغي اعتبارها قاعدة، ولكنه فقط الخوف، ذلك الشعور الذي يمكننا ببساطة أن ننظر إليه على أنه أحد أسوأ أعداء الإنسان، قاتل للحيوات والرغبات، ويجعل المرء يحجم عن فعل أي شيء، والأسوأ أنه عدو شبهُ مستحيلٍ قَهرُه!

ما زال السؤال قائماً في عقل راجي ينتظر إجابته: ما الذي يجعل الحب بينه وبين هيام مميزاً عنه بين والديه؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد قال والده أنه ووالدته قد تزوجا عن عشقٍ وليس حتى عن مجرد حب، ورغم ذلك فإنه لم يكن كافياً ليجعل علاقتهما تحيا لأمدٍ بعيد، فهل سيحدث الأمر ذاته معه هو وهيام أم أنه قد يكون مختلفاً؟

ما زال السؤال قائماً في عقل راجي ينتظر أن يجاب: ما المميز بالحب بينه وبين هيام؟!

هو لا يدري بعد، لكنه فقط لا يريد أن يخاطر أو يغامر، ولكن...هذا يعني بأنه سيعود إلى نقطة البداية التي سَعِدَ كثيراً بأنه ابتعد عنها!

يبدو أن كل ما في الأمر أن راجياً ليس مستعداً ليتحمل عواقب دخول أحدهم حياته ووجود احتمالية خروجه منها، وبما أنه أنه أحب هياماً إذن فهو يعلم أنها بكل بساطة قادرة على تدمير كيانه نهائياً بقرارٍ حاسمٍ منها بالرحيل، فحب المرء لأحدهم يجعل الثاني يتسلم مقاليد حكم الأول!

إذن فما الذي يحدث؟ هل هو الخوف فعلاً أم أنه فقط يختلق أعذاراً ليخرج هياماً من حياته كي يفسح المجال لعودة أصواته القديمة إلى كراسي الحكم داخل عقله ونفسه؟!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نعم، لا بد أن الأمر كذلك، لا بد أنها ثورة أفكاره وأصواته القديمة تمرداً على حبه الطاغي لهيام، فقد كان عليه أن يتوقع أمراً مثل هذه الثورة لكنه لم يفعل، ولكن لا بأس، فقد قرر راجي أن يحسم الأمر بإجابة منه على سؤالٍ يطرح نفسه: أَهُوَ جاهز للحب؟

وقد أجابه بنعم!

هاتفها مجدداً بعد أن أسكت عقله، وطلب منها أن تقابله مجدداً في مكانهما وميعادهما المعتادين، وقد وافقت هيام بسعادة بالغة؛ لأنها أدركت أن اتصاله بها مجدداً يعني أنه بالفعل قد صفح عنها بعد كذبها، وأنه بالفعل يحبها ويريدها معه؛ فمن أمارات الحب أن يصفح المحب عن محبوبه بعد الزلات والأخطاء، ورغم أنها كانت لا تزال تشعر بالسوء مما فعلته إلا أنها كانت فَرِحَةً بأن راجياً اختار أن يبقى معها.

وصل راجي في تمام السابعة إلا خمس دقائق إلى الشاطئ، لكن هياماً لم تكن قد حضرت بعد، انتظرها لأربع دقائق مرت عليه كأنها أربعة أعوام، وحينما وصلت قام بلهفة ليرحب بها قائلاً: "أتعلمين أنني افتقدتكِ؟ وأتعلمين أيضاً أن هذه أول مرة أفتقد فيها أحداً؟!"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضحكت هيام وردت: "ربما لن تصدقني، لكني افتقدتك كذلك، وهذه بداية جيدة!"

جلس راجي مجدداً وجلست هيام بجانبه وسألته: "كيف حالك اليوم يا عزيزي؟"

أجابها: "بخير ولله الحمد، وأنتِ يا حبيبتي؟"
=طالما أنك معي سأكون بخير!
-عذراً، نسيتُ أنه علي أرد بمجاملة رومانسية مماثلة في مثل هذه المواقف!
=ما كنت لأظنها مجاملة، لم أشعر بحال أفضل من حالي وأنت معي، رغم أنها المرة الرابعة التي نجلس ونتحدث فيها معاً إلا أنني أصبحت أشعر أنني أعرفك منذ زمن!
-الشعور متبادل.
=وهذا يسعدني.

نظرا إلى بعضهما وابتسما، وظلا صامتين يتأملان البحر والسماء والشمس الغاربة لبضع دقائق دون حديث، ودون أن يأتي أحدهما على ذكر أي موضوع حساس كأمر والدي راجي أو كذبة هيام.

وبعد أن أوشكت الشمس على الإختفاء جَدَّدَ راجي الحديث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بينهما: "لم نتحدث عن ذوقك الفني بعد، أتذكرين يوم المعرض؟"

ردت وهي تشعر بأنها قد تخيب أمله: "أذكره ولكن....الواقع أن اللوحة لم تكن لي، بل أن صديقة لي أحبت أن تجاري تلك النزعة الثقافية، وهي مهووسة بالمظاهر والمناظر بشكل مضحك، لذا فقد طلبت مني أن أبتاع لها أية لوحة من المعرض، والحق أن خاصتك أثارت إعجابي فاشتريتها."

عقد راجي حاجبيه ومط شفتيه وهز رأسه بيأسٍ واضح، ثم قال: "فهمت، لا بأس....دعكِ من اللوحة وسنتحدث عن تشابه أذواقنا في الكتب!"

قالت وهي متأكدة أنها ستخيب أمله وربما تغضبه: "حتى هذا كان جزءًا من خدعة والدي، ولا أريد أن نعيد الحديث في هذا مجدداً!"
-إذن...فأنتِ لست مهتمة أو سعيدة بتلك النزعة الثقافية المنتشرة في المدينة حالياً؟
=لا أدري....ربما لا!
-إذن فأنت تفوتين على نفسك كثيراً من المتعة، تفوتين كل تلك اللوحات الفنية المعبرة، وكل تلك الكتب ذات الأفكار والأطروحات الشيقة!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=لا أعتقد بصراحة أنني أفوت شيئاً عظيماً كما تقول، فأنا بصراحة أشعر بأن تفاصيل الحياة والطبيعة والإنسان أكبر من أن نختزلها في الفنون والأدبيات، المرء لا يحتاج في حياته أن يقرأ كتاباً أو يستمتع بجمال لوحة فنية بقدر ما يحتاج أن يكون مجنوناً ويغامر في حياته دون أية تلميحات أو مساعدات من كتب أو غيرها، كما أرى أن جمال الحياة والطبيعة أحق بالتأمل والإعجاب من جمال اللوحات، أرى أن الدنيا أجمل وأبسط من أن نعقدها باختزالها في خيالاتنا المدونة على الأوراق أو المرسومة على اللوحات!

-مبررات مقنعة نوعاً ما، لكن صورتك عن الفن والأدب ليست صحيحة!

=وإذن فلتصححها لي!

-الأدبيات لا تختزل مفاهيم الحياة في سطورها، وإنما تفصلها وتشرحها لتعين من لا يفهمها، أنتِ تقصدين كُتَّاباً يرون الدنيا من منظورهم فقط، أليس كذلك؟

=ربما...ربما أفعل!

-أما عن الفن، فبالطبع جمال الطبيعة أحق بالإعجاب، فصنع الإله أجمل بألف مرة من صنع الإنسان، لكن أحياناً لا يكون جمال الطبيعة كافياً لإشباع حاجة المرء للجمال، لذا فالفنون تعد توسعة لحدود الجمال ليس إلا، وتخدمه بكل إخلاص!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=....كلماتك جديرة بالتفكير يا راجي.
-وكلماتك كذلك، إياكِ أن تعتقدي أنني أقلل من رأيك وفلسفتك الشخصية، إنما أنا فقط أعرض عليكِ ما أراه كما عرضتِ أنت علي ما ترينه.

مالت هيام برأسها نحو كتف راجي وقالت: "عل اختلافاتنا لا تكون عائقاً أمام حبنا!"

ابتسم راجي قائلاً: "علها لا تكون يا عزيزتي، علها لا تكون!"

يوم ٣٧

خلال الأيام السابقة ظهر تأثير كلام هيام الشديد على أفعال راجي وأفكاره؛ فهو لم يقرأ خلال تلك الأيام بالشراهة التي عهدها في نفسه، ونسي تقريباً أنه يرسم من الأساس لدرجة أن أصحابه في المعرض هاتفوه وسخروا منه قائلين: "يبدو أنك اعتزلت الأمر دون أن تُعلِمَنا!"

حتى أنه بالفعل كثيراً ما فكر أن يعيش دون أن يتعب نفسه بالقراءة وجمع معارف لا يدري لِمَ ومتى قد يستخدمها أصلاً، وأن يعتزل الرسم لأنه على ما يبدو لن يرسم شيئاً مختلفاً عن كل ما رسمه سابقاً، حتى أنه حسدها في قرارة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نفسه على حريتها وسطحية عقلها وهدوئه، فهذا أكثر ما يرغب به الآن بعد أن تسبب فضوله للقراءة في شتى الموضوعات بجعل عقله لا يتوقف تقريباً عن التفكير والتحليل، ربما حان الوقت ليتوقف عن كل ذلك ويصبح حراً منه، وحريته لن تكون إلا مع هيام!

آه....إنه الحب!

ويا له من حب ذلك الذي يجعل المحب تابعاً لمحبوبه بهذا الشكل!

أما عن هيام فقد تأثرت بكلامه هي الأخرى، وفكرت أنها قد لا تكون تفهم الجوهر الحقيقي للأدب والفن بعد، وربما عليها أن تجرب عَلَّ نظرتها تختلف كي لا تخيب أمل راجي، وبالفعل استعارت ثلاثة كتبٍ في موضوعات شدت انتباهها من مكتبة والدها الذي فوجئ بالأمر لأنه يعلم هياماً جيداً ويعلم أنها ليست شغوفة بالقراءة، وبما أنها الآن تفعل ما تفعله إذن فهنالك بالتأكيد تفسير لذلك، وبربط الأحداث معاً وبكل بساطة فطن الرجل إلى أنها تحاول محاكاة عقل راجي، وقد أسعده هذا بشدة لدرجة أنه عرض عليها أن تحتفظ بالكتب إذا أرادت، لكنها أخبرته أنها مجرد استعارة بهدف التجربة، ولم تقبل أن تحتفظ بهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما عن عمل راجي في المكتبة فهو لم يتوقف، وقد كان صاحبها يتجنب الخوض في الحديث عن أمره هو وهيام كي لا يُشعِرَه أنه دخيلٌ على حياتهما، اللهم إلا في حالات استثنائية قليلة لا يتعدى حديثه فيها حدوداً كثيرة.

وقد كان هذا مريحاً لراجي بالفعل؛ لذا فإنه لم يتجاهل عمله أو ينفر منه أبداً خلال تلك الأيام، لأن أغلب أحاديثهما كانت عن أمور أخرى إلا أمره هو وهيام، أما بشأن عزوفه عن القراءة والرسم فلم يُعلِم الرجلَ به أبداً؛ خشية أن يظن به ظناً قد لا يعجبه.

وفي خلال هذه الأيام زار راجي والديه أكثر من مرة، وفي كل مرة كان يشعر بأن أمر عودتهما لم يعد مهماً كثيراً، وأنه بذل قصارى جهده ولا يحتاج إلى الإجتهاد أكثر من ذلك، وأنه هنالك أمور بالفعل لا يمكن أن تعود لطبيعتها أبداً مهما فعلنا، لذا فقد كان يستمتع بقضاء وقته مع كلٍّ منهما على حدة، متعة لا تشوبها أسئلة أو محادثات عن أمور غير محببة إلى قلب أياً منهما.

وأما عن اللقاءات بين راجي وهيام فقد تكررت، وقد كانا يتحدثان في أمور مختلفة كل مرة، وفي الأيام السبعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السابقة لليوم السابع والثلاثين من بداية قصتنا بدأت هيام بمناقشته فيما تقرأ، وحينها بدأ حب راجي للقراءة يعود، وبدأت أفكاره تعود إلى طبيعتها ورونقها لمجرد أن هياماً أصبحت مقتنعة بها!

وفي الأيام الخمسة السابقة لليوم السابع والثلاثين طلبت هيام من راجي أن يصطحبها إلى المعرض مرة أو اثنتين، ولك أن تتخيل مقدار سعادة راجي بطلبها هذا، وبالفعل اصطحبها مرتين معه وفي كل مرة كان يريها عدة لوحات من رسم فناني المدينة ويتحدث معها عن تفاصيلها ومعانيها.

كانت أياماً ممتعة ومجددة ومقوية للحب بين راجي وهيام، وكانت مبشرة بكثيرٍ من الخير لعلاقتهما.

وفي اليوم السابع والثلاثين زار راجي والدته ليطمئن عليها كعادته، وصل إلى منزلها ووقف قليلاً ليستمتع بعبير الزهور للمرة الأولى؛ ويدرك أنه هنالك أمور أجمل وأحق بالتجربة من مجرد محاولاته لتحقيق حلم أحمق غير قابل للتحقق، ثم طرق الباب وانتظر حتى استقبلته أمه بسعادة واحتضنته قائلة: "كيف حالك يا عزيزي راجي؟"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دخل راجي ورد مبتسماً: "أنا بخير يا أمي، ماذا عنكِ؟"
=لله الحمد والفضل على الخير والصحة والطمأنينة، كيف حال عملك؟
-يسير على ما يرام.
=أرجو له أن يسير على ما يرام على الدوام.
-أنا أيضاً.
=أعرف أنك مللت من سماعي أعرض عليك نفس العرض كل مرة، لكن ألا تريدني أن أعد لك شيئاً تأكله؟
-لقد مللت بالفعل لأنني أخبرتك مراراً أنني آتي لمنزل والدتي لا لمطعم، ولكن لا بأس حقاً ببعض الطعام، شرط أن نأكل معاً.
=طلباتك أوامر يا عزيزي، انتظرني حتى أعود!

مرت بضع دقائق قبل أن تنهي والدة راجي تحضير الطعام لهما، وساعدها راجي في تجهيز المائدة قبل أن يجلسا ويشرعا في تناول طعامهما، تحدثا على المائدة عن عدة أمور لم يكن ضمنها الأمر المحرم الذي نعلمه، وعندما فرغا من الأكل ظلت الأم جالسة مكانها لا تتحرك، عقد راجي حاجبيه وسألها ما إذا كانت بخير فأجابته: "راجي....أعلم أنني أخبرتك أننا لن نتحدث في هذا الأمر مجدداً لكن لا بأس من أن أعترف لك بأمر ما، أنا المخطئة يا راجي!"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قالت كلمتها الأخيرة وبدأت بالبكاء، بينما شعر راجي بالعجب الشديد من رغبة والدته في الحديث بهذا الشأن مجدداً، وبالغضب الشديد لأن هذا يهدد استقراره النفسي ويفتح باباً تعود منه أصواته القديمة لتعيث الفساد في نفسه وعقله، وهذا ما لا يريده أبداً، ولكنه بأية حال أمر والدته أن تهدأ، وناولها كوباً من الماء ومنديلاً تجفف به دموعها، ثم أخبرها أن تخبره ما تريد أن تخبره إياه عندما تشعر أنها بخير، مرت بضع دقائق قبل أن تتحدث الأم مجدداً: "لقد كنا مختلفين عن بعض كثيراً يا راجي، وقد كان مخالفاً للرجل الذي رسمته في أحلامي، حاولنا ألا نجعل الأمر عائقاً لكننا فشلنا، شعرنا بأننا نحاول أن نسير في طريق واحد لا يحتمل إلا واحداً منا، لذا فقد كان علينا أن نبتعد عن الطريق أصلاً ونعود من حيث جئنا!"

-ما الذي تقصدينه بأنكما مختلفان؟

=هو لا يحب ما أحب، ولا يؤمن بما أؤمن به، ولا يرى في أحداث الدنيا ما أراه....لا داعي للتفاصيل والأمثلة لكنني متأكدة أنك ستفهم!

-وبالفعل فهمتكِ، وأنا آسف على ما حدث لكما يا أمي، ولم أتمن أن يحدث هذا أبداً.

=ولا أنا يا راجي، وما يحزنني أنني أشعر دائماً أنني كنت السبب، هذه الذكرى تطاردني وتجعلني أختلق مبرراتٍ حمقاء لأهرب من حقيقة الأمر، وحقيقته أنني المذنبة في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القصة!
-....اعذريني إذا لم يكن لدي ما أقوله بهذا الشأن، لأنني إذا طلبت منكما أن تعودا إلى بعضكما سترفضان كالعادة، ولا أستطيع أن أقول أمراً غير هذا!
=أتعرف؟ فقط اليوم بدأت أشعر أنني أفتقده!
-وهذا أمر جيد يا أمي!
=.....لكن هنالك أمر أسوأ من هذا يا راجي، وهو متعلق بك!
-....وما هو يا أمي؟
=لا أدري كيف أقوله، لأنني أعلم أنك ستغضب مني!
-لا بأس يا أمي...جربيني!
=.....لقد كرهتُك! وكرهت وجودك لأنه ذكرني دائماً به! ولا أدري كيف خرجت هذه الكلمات من بين شفاهي، عليَّ اللعنةُ!

انهارت الأم وبكت بحرقة، احتضنها راجي وذرف بعض الدموع هو الآخر لكن ليس بقدرها، وعندما شعر أنها هدأت قال لها: "ولك الحق يا أمي، ما كنت لأعارضك!"
=لا بد أنك تمزح! وكيف لك ألا تغضب من كراهيتي لك؟!
-لأنني بالفعل العقبة الوحيدة أمام تحررك من قيود ذِكراه، وأنا آسف لكوني هكذا!
=لا يا راجي، لا تقل هذا، أنا آسفة على ما قلت!
-لا...لستِ آسفة، ولو أن الله أباح لي قتل نفسي لكنت فعلتها وأرحتكِ...

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=أرجوك أن تصمت، أرجوك أن تصمت، ليتني ما قلت ما قلت!
-كلا...من الجيد أنكِ قلتِ ما قلتِه، فهذا جعلني أبصر خطئي، وهو أنني جعلتكما محور حياتي لسنواتٍ، وهذا هو ما أحصل عليه في النهاية؟!
=لو أنني ظللت أقول أني آسفة حتى يتوفاني الله لما كان هذا كافياً بالنسبة لك، أعلم هذا ولكنني حقاً آسفة أنه كان عليك أن تحيا هكذا بسببنا!
-كلا، ليست غلطتكما، أنا من حكم على نفسه بتلك الحياة في المقام الأول وظل يقيد بصره بالنظر إلى الخلف بدلاً من الأمام، أوَتعلمين؟ أنتما محقان، ابقيا هنا وانتظرا الموت، وسأخرج أنا لأماطله وأتهرب منه! أنا حتى لا أدري ما إذا كنت غاضباً أم لا، أنا...عليكما اللعنة!

قام راجي وغادر المنزل دون أن يستمع إلى صراخها وبكائها، وحملته قدماه إلى منزله حيث جلس على سريره وأخذ يبكي لبضع دقائق، قبل أن يغير ملابسه ويخلد للنوم وقد قرر أن يعفي عقله اللعين من التفكير ولو لليلة واحدة!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يوم ٣٨

استيقظ راجي في اليوم التالي، وقبل أن يبدأ التفكير فيما حدث بالأمس اتخذ قراراً حاسماً بأنه لن يفكر ثانيةً في مهمته المقدسة، وسيتخلى عنها إلى الأبد، وسيبدأ في تنفيذ مهمة مقدسة أخرى وهي أن يحيا كما عليه أن يحيا!

ولكن كيف السبيل ليعلم كيف عليه أن يحيا وسط كل هذا الشتات؟!

جلس راجي وبدأ يفكر في هيام، فهي أهم من يعرف في الوقت الحالي، وأطلق العنان لعقله وأصواته الداخلية مجدداً مع استمرار طغيان الحب عليها، إنما كان إطلاق العنان هذا مجرد مناقشة، ويبدو أن أصواتاً قد تغيرت وأصواتاً جديدة قد ظهرت، ضمنها صوت جديد يعد تحديداً دقيقاً لمهمته المقدسة القادمة، وهي أن يفعل ما لم يفعله والداه ويُكَوِّنُ مع هيام أسرة سعيدة صالحة، ويتقبل اختلافاتهما ولا يجعلها مثيراً للمشاكل، ويحيا معها حياة خالية من المشاحنات والبغضاء، وربما تنجب له هيام طفلاً يربيانه تربية صحيحة في بيئة مفعمة بالحب والسلام، إنه الآن من كل قلبه يريد أن يتفوق على والديه ويثبت لهما بأنهما فاشلين، ويثبت لنفسه أنه بطل من طرازٍ ما.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه هي المهمة المقدسة التي ينبغي أن يسعى الإنسان إليها بحق، وهذا ما آمن به راجي في تلك اللحظات.

أما بالنسبة لوالدته، فقد أدرك راجي بأن شيئاً لن يتغير بينها وبين والده، لذا فقد قرر أن يزورها لاحقاً أو يهاتفها حتى ويخبرها بأنه لم يعد مستاءً من كلامها، وأنه رغم كل شيء سيبرها ويكون طيباً معها، ففي نظره لا شيء ينبغي أن يلهي المرء عن أداء مهمته المقدسة، خاصة لو كان الإنتقام أو الكراهية، لأن هذان الإثنان هما أكثر ما يجعل المرء يعجز عن السير للأمام، وعلى طريق الصواب والصلاح.

رغم أن الحقيقة أن راجياً تأذى بشدة من كلمات والدته، لكنه قرر ألا يعيرها اهتماماً، وأن يذهب بدلاً من ذلك إلى والده ويقص عليه ما حدث، مع أنه قد وعده سابقاً ألا يتحدث معه مجدداً في أمرها، ولكنه يثق في حكمة والده وهدوئه في معالجة المشاكل، ويعلم بأن مجرد قص الأمر عليه سيريح باله، ورغم أنه لا يدري ما إذا كان سيوافق أم لا لكنه قرر أن يجرب، جل ما يتمناه ألا يكون والده يكرهه هو الأخر ويحاول إخفاء ذلك!

وبالفعل ذهب راجي إلى والده، وطرق باب منزله وانتظره حتى فتح له وأدخله بعد أن سأله عن أحواله قائلاً: "أنرتَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنزل يا فتى، لا أدري كيف أصف لك شعوري ولكنني افتقدتك!"

عقد راجي حاجبيه سائلاً: "وهل هذا يشكل لك مشكلة؟!"
=كلا أيها السخيف، بالطبع لا، إنني أمازحك وحسب! كيف حالك تلك الأيام؟
-بخير ولله الحمد.
=وماذا عن عملك؟
-على ما يرام.
=رائع، رائع يا بطل، وهذه البطولة تستحق كوباً من الشاي تحتسيه معي هنا، انتظرني حتى أعد لنا كوبين وأعود.

قام الوالد بالفعل وأعد كوبي شاي، ثم عاد إلى راجي وناوله واحداً ليشربه، ارتشف راجي من كوبه رشفةً ثم وضعه على المنضدة منتظراً أن تهدأ حرارته قليلاً، وبدأ الحديث بأن قال لوالده: "أبي، أعلم أنني وعدتك ألا أتحدث عن والدتي مجدداً، ولكنها قالت لي أمس كلماتٍ جرحت نفسي، وأظنني أحتاج أن أحكي لك ما حدث، أرجوك وأتوسل إليك أن تستمع إلي وتطيب جراح فؤادي يا أبي!"

بدا القلق على مُحَيًا والده، فليس من عادة راجي أن يتحدث بهذه النبرة، لذا فقد تجاوز عن ذلك الوعد وقبل بأن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحكي له راجياً ما حدث، وبالفعل قص عليه حواره مع والدته يوم أمس، وقال بنبرة حزن: "إذا كنت توافقها الرأي أنني عائق وتكرهني أنت كذلك فأخبرني!"

ضحك الوالد قائلاً: "أنت الآن تصبح مثلها حقاً!"
-كيف؟
=يا راجي....ربما أنا ووالدتك بالفعل مختلفين في عدة أمور، لكننا اتفقنا على أمر واحد قبل أن ننفصل مباشرة، وهو أن نؤمن ونظل مؤمنين بأنك أعظم شيء حدث لنا على الإطلاق، وإذا كانت هي لا ترى كذلك فأنا رأيته دائماً ومازلت أراه، لكنني متأكد أنها ترى ذلك يا راجي ولكن....
-ولكن ماذا؟
=والدتك تبالغ وحسب لأنها لا تريد أن تكون معي كما تعلم، والواقع أنها كما عهدتها لا تستطيع التعبير عن مقاصدها بصورة صحيحة.
-سهل عليك أن تقول هذا، فلست أنت من سمع الكلام يُقَال له في وجهه!
=ولست أنت من يفهم طباع أمك أكثر مني، أستطيع أن أؤكد لك هذا، وأستطيع أيضاً أن أشرح لك أمراً ما، هنالك فرق بين كونها تشعر أنها تكرهك وبين أنها تكرهك.
-وكيف؟
=لأنني أنا نفسي أشعر أنني أكرهك، لكنني لا أكرهك!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عقد راجي حاجبيه منتظراً تفسيراً، فضحك والده وتابع الحديث: "بعد الإنفصال أصبحتُ بعيداً عنك أكثر من السابق، وأنت تعلم أن الدنيا شاغلة، وتعلم أيضاً أنك اخترت أن تحيا وحدك، لكن حتى اليوم ما زلت أشعر بالذنب أن كل ما يجمعنا هو مجرد لقاء لا يتعدى ثلاث ساعات كل بضعة أيام، هذا أمر جارح للروح يا راجي، وهذا يجعلني أشعر بأنني أكرهك لكنني بالطبع لا أفعل، ولكن كل الأمر أن....أن الدنيا شاغلة، ولعينة، ولا تعطي المرء ما يريده أبداً!
لذا...والدتك لا تكرهك، لكنها لا تعرف كيف تشرح ما تشعر به، وأظنها تشعر بنفس ما أشعر به....والآن ابدأ بشرب الشاي لأنه سيبرد.

تابع راجي شرب الشاي حتى وصل منسوبه في الكوب إلى المنتصف، ثم تبعه والده حتى أنهى نصف كوبه وتابع الحديث: "لا تُعلِّق على أمر تقصيري معك، هذا أمر من الصعب أن يتغير، لأن لكل شيء نهايته كما تعلم، ابق على حالك فقط ولا تغيره لأجل أي منا، اجعل كل واحد منا نحن الإثنان فخوراً بك يا راجي، لأنه من الصعب أن نكون نحن الإثنان فخورين بك معاً!"

ذرف راجي دمعةً حارة، وغطى وجهه بِكَفِّه بحزنٍ شديد، حاول الوالد أن يهون عليه لكنه لم يستطع فقال: "والآن بما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنني لا أدري كيف أهون عليك قد تظن أنني أقلل من حزنك، لكنني أعلم أنه ليس هنالك من تضرر بسبب ما حدث أكثر منك، نحن آسفين على كل شيء يا راجي، آسفين على أننا أحضرناك إلى هذه الدنيا وعذبناك بفراقنا طوال هذه السنوات، لا أستطيع أن أقول لك أكثر من ذلك!"

مرت بضع ثوان قبل أن يهدأ راجي وينهي كوب الشاي ويسأل والده: "إذن....فقد انفصلتما بالفعل لمجرد أنكما لم تكونا مثل بعضكما في عدة أمور؟ ألم تحاولا أن تتقبلا اختلافاتكما تلك أو...."
=السبب هو أن كلاً منا لم يكن كما رسمه الآخر في أحلامه وخيالاته، السبب هو أن الواقع عدو لدود للأحلام يا راجي، وقد حاولنا أن نفعل كل ما يمكنك أن تتخيله لكننا فشلنا ولن ننجح، كف عن الحياة بأمل نجاحنا، اجعل أملك الوحيد هو أن تحلو لك الدنيا يا راجي ويتكرم عليك الله بتوفيقه وأفضاله، والآن دعك من هذا الأمر ودعنا نتكلم في أمور أخرى.
-أنا آسف لأنني أزعجتك بهذا الأمر مجدداً يا أبي.
=اعتذر لي بتغيير موضوع الحديث يا راجي، أرجوك!

وبالفعل غير راجي موضوع الحديث إلى أمور أخرى تحدثا فيها حتى انتهت الزيارة وقام راجي ليعود إلى منزله ويجبر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نفسه على النوم قبل أن يعمل عقله، وويل لنفسه إذا عمل عقله الآن!

يوم ٣٩

استيقظ راجي على صوت صراخ أفكاره ومشاعره، وهذه المرة كان شعور الخوف قد قاد ثورة ناجحة ضد حبه الشديد لهيام، وقد كان ذلك الخوف خوفاً من أن يتكرر بينه وبين هيام ما حدث بين والديه؛ خاصةً وأنها بالفعل مختلفة عنه في أمور عدة اكتشفها في لقاءاتهم خلال الأيام السابقة.

ولم يكن الخوف وحده قائداً ومنفذاً لهذه الثورة، بل كان مدعوماً من شعور راجي بأنانيته؛ لأن حبه قد لا يكون صادقاً ونقياً كما يظن، فالواضح أن ذلك الحب ملوثٌ برغبة التفوق على والديه، وبرغبة السعادة الشخصية والتحرر من أغلال الحزن واليأس التي قيدت حريته طويلاً وحرمته من الحياة!

وليس هذا كل شيء، فقد كان للخوف حليفٌ آخر حَوَّلَهُ إلى رعب، وهو شعور غريب بأن هياماً تحاول اكتساب رضا راجي بتغيير طباعها، وأنه قد يكون – دون قصد منه – يضغط عليها لتكون شخصاً ربما لا تريد أن تكونه!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكما نرى يا رفاق أن الخوف إذا غزا نفس المرء فإنه لا يأتي وحيداً، وإنما يصطحب معه مشاعر وأفكار منطقية وغير منطقية لا يدري المرء أبداً متى وكيف تكونت في نفسه، لكنها فقط تأتي وتتسلم مقاليد حكم النفس بجانب الخوف لأجل لا يعلمه إلا الله!

وبناءً على كل ما سبق قرر راجي أن ينهي كل شيء بينه وبين هيام؛ وذلك لأنه شعر بالفعل أن ما بينهما لن يكون مختلفاً كثيراً عما كان بين والديه، وربما ينتهي بنهاية مأساوية مماثلة وهو يعلم جيداً أنه ليس مستعداً لهذه النهاية، ربما كان شجاعاً في الأيام الماضية وقرر أن يجرب المغامرة ولكن هذا في نظره ليس أمراً يحتمل الإحتمالات، إما أن تكون متأكداً أنك ستنجح أو لا تفعلها أبداً، والمشكلة أنه لم يعلم ما إذا كان متأكداً أم لا، لكنه خشي الفشل وحسب.

لم تكن الظروف الفكرية والشعورية لراجي في صالح رغبته الدفينة بالبقاء مع هيام حينئذ، فكل فكرة وكل إحساس كان يصرخ مع إخوته قائلاً: "اتركها وشأنها!"

وبالفعل استجاب راجي لهذه الأصوات قبل أن تمزق عقله إرباً وهاتف هياماً، لكن قبل أن ترد عليه راوده شعور نابع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من إرادته الدفينة في نفسه بأن كل ما يحدث في عقله الآن ليس سوى مهزلة، وأن لكل مشكلة حلاً؛ لذا فقد قرر أنه لن ينهي علاقته مع هيام، بل سيؤجلها!

ردت هيام سائلةً عن أحواله فتجاهل سؤالها وشرع في الحديث قائلاً: "هيام....هنالك أمر يجب أن نتحدث بشأنه، لكن أريد منك وعداً بأنك ستتفهمين الأمر!"

صمتت لبضع ثوان، ثم قطعت له الوعد بالفعل فتابع: "علينا أن نبتعد عن بعضنا لبعض الوقت، الأمر ليس كما تتخيلين لكن....إن عقلي يدمرني يا هيام ويصنع لي من المبررات كثيراً وكثيراً من أجل إقناعي بالإبتعاد عنك، لكنني لا أريد ذلك أبداً، ولذا فإنني أحتاج بعض الوقت وحدي لكي أتغلب على كل تلك الأفكار، وعندها سنكون معاً يا هيام، أعدكِ!"

قطلع لها ذلك الوعد وشرع بعدها مباشرة في البكاء، مما جعلها تبكي هي الأخرى وتسأله: "أنا أشعر كأنني أحلم، أو أنني لا أفهم مما تقول شيئاً!"
-هذا ليس حلماً للأسف، إنني جبان وأحمق وأخشى عليكِ من أن أكون سبباً في ألمكِ مستقبلاً!
=لن تكون هكذا يا راجي! ما الذي يدفعك لإعتقاد هذا؟ فقط اشرح لي ما تمر به وربما أستطيع مساعدتك!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-كلا يا هيام، علي أن أخوض هذه المعركة وحدي، فأنتِ لست عدواً فيها أبداً، وإنما عقلي هو عدوي الرئيسي فيها، علي أن أجعله يخضع لي وسأفعل، إذا كنتِ تريدين أن نظل معاً، فسيكون عليكِ الوثوق بي!

=.....أنا أفعل يا راجي، أنا أثق بك وسأفعل دائماً!

-حقاً؟ لأنني لا أثق بنفسي وإنما أثق بحبي لكِ يا هيام، وواثق أنه سينتصر في داخلي على ما سواه!

=إذن....أظنه الوداع!

-هذا يعني أنك لم تفهميني، ما كنت لأقول ذلك، ولكنني سأقول إلى اللقاء!

=....أهو قريب يا راجي؟

-ماذا؟

=اللقاء!

-الأمر يعتمد ولكن....أظنه قريباً، وعليه أن يكون كذلك!

=إذن....إلى اللقاء القريب يا راجي، لا أدري ما أقوله لك!

-إلى اللقاء القريب يا هيام!

أغلق راجي المكالمة، ودفن وجهه بين كفيه وأخذ يبكي بحرقة، ولكنه عندما هدأ اتخذ قراراً في أعمق أعماق نفسه بأن كل شيء يجب أن يتغير، وربما هذه المرة سيحتاج فعلاً إلى المشورة، حتى لو كانت من عجوز متمركز حول نفسه كصاحب المكتبة مثلاً!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكن ليس اليوم؛ لأنه اتصل بصاحب المكتبة أصلاً وطلب منه إجازة لبضعة أيام، وبالطبع وافق الرجل وهذا أعطى فرصة عظيمة لراجي كي يقضي وقتاً أكبر مع نفسه، ويحاول السيطرة عليها ويسخرها لإسعاده قبل أن تدمره!

يوم ٤٠

شعر راجي في ذلك اليوم أنه يكره نفسه ويمقتها، ولكنه علم أن كراهيتها ليس حلاً، بل الحل هو السيطرة عليها هي وعقله اللعين هذا قبل أن تتطور الأمور إلى ما هو أسوأ.

وأكثر ما لاحظه راجي في نفسه - متأخراً للأسف - أنها تحب العذاب حباً جماً، وتكره السعادة كراهية عمياء، وشعر بالفعل لأول مرة أن نفسه المازوخية تلك هي سبب كل مشاكله، ولِمَ لا وهو الذي ضيع من بين يديه بنفسه كل فرصه ليكون سعيداً، حتى فرصته الأخيرة يريد أن يضيعها هي الأخرى؟!

لم يكن مراد راجي سهل المنال، فمن الصعب عليه أن يُرَوِّضَ نفساً مفترسة للسعادة كنفسه، وعقلاً كارهاً لكل جماليات المشاعر كعقله، ولكن ما جعله متفائلاً بعض الشيء هو أنه بدأ يفهم نفسه، وكما نعلم جميعاً فإن معرفة عدوك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفهمه من أهم أساسيات الإنتصار في أية معركة، خاصة إذا كنت تخوضها ضد نفسك؛ لأنها أسوأ عدو لك!

ولكن مهلاً...هل الأمر فعلاً بهذه الصعوبة، أم أن نفسه وعقله يخيلان له أنه صعب؟

وهل يكون الأمر صعباً مع الجميع في مثل هذه الحالات أم أنه نسبي من شخص لآخر؟

قاطع أفكار راجي صوت جديد من أعمق أعماق نفسه يؤكد له أن الحل الوحيد لإنهاء هذه المهزلة هو قرار واحد حاسم من راجي بأنه المسيطر، ولكي يكتسب راجي قوة كافية تعينه على إتخاذ هذا القرار عليه أن يقص ما يحدث على أحد ما ويطلب مشورته، بعد أن يقضي بعض الأيام وحيداً ويهدأ.

وحتى يحين وقت عودته إلى المكتبة انشغل راجي في رسم لوحة جديدة يرى الناظر إليها شخصاً يسير وحده وقد ألقى على الأرض صورة بها عاشقان يتأملان الغروب، وعندما انتهى منها تأملها ثم قال ضاحكاً: "أنتِ محققةٌ يا هيام، إن كل لوحاتي متشابهة بالفعل، يا لي من أحمق!"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يوم ٤٩

خلال الأيام السابقة كان راجي منشغلاً بلوحته كما ذكرنا آنفاً، وبمطالعة كتاب قرر أن ينهي قراءته خلال أيام الإجازة تلك، لذا فقد كانت هذه الإجازة فرصة له ليفعل ما يحبه ولكن بشغف وليس كما اعتاد أن يفعل أي شيء في حياته سابقاً؛ وبالتالي يقدر على تهذيب نفسه؛ وبالتالي يستطيع السيطرة عليها وإتخاذ قراره بالبقاء مع هيام، وهذا هو أكثر ما يحبه ويريده.

وما هو جدير بالذكر أيضاً أن راجياً اتصل بوالدته واعتذر منها عن عدم قدرته على زيارتها خلال الأيام القادمة، كما واعتذر لها أنه تركها ورحل في المرة السابقة مؤكداً أن هذا لا علاقة له بعدم قدرته على القدوم، ومبرراً إياه بأنه رد فعل طبيعي لأي من كان في مكانه، وقد طالت تلك المكالمة التي كان ملخصها أن العلاقة بينهما عادت كما كانت، حتى أن أمه قالت له قبل أن تنتهي المكالمة: "راجي....أعلم أنك قد تريد أن تكون جيداً معي وحسب، وربما لا تكون راضياً عني حقاً..."

فقاطعها راجي قائلاً: "كلا، لا تكملي أرجوكِ، كل شيء بخير وأنا عنك راضٍ، لا بأس!"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم ودعها وأنهى المكالمة وهو غير نادم على تلك الكذبة، فمن الشاق عليه أن يجعل قلبه صافياً من ناحيتها مرة أخرى ولو ساقت له من المبررات آلافاً وملايين، لكنه فقط لم يرد أن تظهر مشاكل إضافية تجهد عقله وتضعف نفسه أكثر.

والطريف المحزن هو ما حدث بعد أن أغلق راجي المكالمة، فقد بدأ عقل راجي بالصياح داخل رأسه: "ربما تهجرها وتنتقم منها، وربما عليك أن تواجهها مجدداً بقوة وغضب أكبر، فما فعلته ليس هيناً ولا بد لنا من وقفة...."

ولكن راجي لم يعط عقله فرصة للتفكير في هذا الأمر وإنما رمى الهاتف على السرير وصاح بصوت مسموع من فرط غضبه: "شَلَّ الله حركتك يا لعين، لا تقف أو اجلس، فقط اصمت عليك اللعنات!"

أما عن اليوم التاسع والأربعين من بداية قصتنا فقد شهد عودة راجي إلى المكتبة، وفيما يلي – كالعادة – نقص عليكم تفاصيل الحدث الهامة.

كعادته حينما وصل إلى المكتبة ألقى التحية على صاحبها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجلس معه، وبعد حديثٍ أو اثنين بينهما عن أمور غير هيام قرر راجي أن يبدأ الحديث في أمرها قائلاً: "أريد أن أطلب منك المشورة!"

ابتسم الرجل موافقاً: "بالطبع يا بني."
-بدايةً دعني أسرد لك الحقائق، وبعدها ننتقل إلى صلب المشكلة.
=كلي آذان صاغية.
-....الحقائق هي أنني أعشق هياماً وهي تبادلني ذلك، وأننا مؤخراً صرنا قريبين جداً من بعضنا.
=وهذا يسعدني يا راجي، فما كنت لأجد لها....خليلاً أفضل منك!

فطن راجي إلى خبث ابتسامة الرجل، إذا أنه قصد زوجاً بكلمة خليل، لكن هذا ليس خبثاً يُلَامُ عليه الرجل، فما من خليل أبدي أفضل لراجي من هيام، المهم أنه أكمل حديثه: " والآن نأتي على ذكر المشكلة....وهي أنني خائف!"

وحكى له ما كان من أبويه في الأيام الفائتة، وصارحه بعدها بمخاوفه وأصوات عقله، مؤكداً له على أنه لم يعد يحتمل ذلك وأنه بالفعل بدأ مقاومته منذ بضعة أيام والأمر ينجح بالفعل، لكنه فقط يحتاج مشورة تكون له عوناً على

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

اتخاذ قراره، وعندما انتهى راجي من حديثه جاء دور الرجل: "دعنا نتدرج في مناقشة مخاوفك تلك يا راجي، ونبدأ بأبسطها وهو أن هياماً تحاول اكتساب رضاك بتغيير طباعها، وهذا أكثر ما أستطيع أن أؤكد لك أنه غير صحيح على الإطلاق؛ فلقد تغيرت هيام منذ عرفتك وأصبحت كما تمنيتها أن تكون، وقد شعرتُ مثلك بأنها قد تكون تفعل هذا في سبيل التشبه بك وحباً فيك؛ لذا سألتها بنفسي وطلبت منها رداً صريحاً فأجابت بأن هياماً الحالية هي نسخة أفضل بكثير من هيام السابقة؛ فهي نسخة نابضة بالحياة ذات مشاعر ووجدان، وأنها لا تمانع إذا كان فعلها هذا لمجرد أنها تحبك وتتشبه بك فهي لا ترى مشكلة في أن يؤثر المحب في محبوبه أو العكس، إنها مؤمنة بحبك يا راجي ومستمتعة وسعيدة بما هي عليه الآن، لقد منحتها السعادة يا راجي، السعادة التي لم تظفر بها أبداً، أنت أمنية هيام التي لم يتوقع أي منا أن تتحقق أبداً!"

-.....أنا سعيد بهذا....أظن أنني سأنبذ تلك الفكرة، لكن الأمر ليس كما تتخيل أبداً....

=الفكرتين التاليتين صعبتي النبذ، أما تلك ففكرة حمقاء يا راجي، انبذها في التو واللحظة وعدني أنك لن تفكر هكذا مجدداً!

-....لا بأس، أعدك، وأرجو أن أكون قوياً كفاية لأحفظ وعدي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=أنت كذلك، وأقوى مما تتخيل، لكنك تحتاج فقط إلى أن تفتح عينيك وتبصر الحقيقة في كل ما حولك، والحقيقة هي أنك سيد نفسك يا راجي!

-....ماذا عن الفكرة الثانية، أو الخوف الثاني كما ينبغي أن نسميه؟

=نعم، نتدرج الآن إلى الشعور الأكثر تعقيداً من الذي قبله، ألا وهو شعورك بالأنانية، وهذا أيضاً يجعلنا نتحدث عن جوهر الحياة، فما المانع أن تحب لأنك ترغب بتكوين أسرة أو تحقيق نجاح؟ أو....دعك مما قلت، إذا كنت تحبها لأجل ذلك فقط كما تزعم فَلِمَ اخترت هياماً بالذات وأحببتها دوناً عن بقية الفتيات اللاتي قابلتهن سابقاً في عملك أو في حياتك عموماً؟ لم اخترت هياماً بالذات إذا لم تكن تحبها إلا لأسبابك المذكورة؟ أسبابك تلك مجرد مقويات لحبك وليست بجوهره، إن جوهر حبك لهيام هو أنك تحب هياماً، ورغبتك بتحقيق السعادة أو التفوق على والديك وما إلى ذلك تقوي ذلك الحب، هذا ما أراه يا راجي ولا أدري ما ترى أنت بعد أن سمعت كلامي.

-....أرى أنك محق يا سيدي.

=لا تقل لي أي كلام لتسكتني يا راجي!

-لا، أنا حقاً لا أفعل، كل كلمة تقولها تداوي جرحاً داخل نفسي، أقسم لك!

=عظيم، عظيم يا راجي، دعنا الآن ننتقل إلى الشعور الثالث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والأكثر تعقيداً إذا كنت مستعداً.

-أنا كذلك.

=....دعنا نفعل كما فعلت أنت، نذكر الحقائق ثم نتعمق في الحديث قليلاً، والحقيقة هنا أننا لا نعلم الغيب، أليس كذلك؟

-بلى.

=وهذا ينقلنا إلى الحقيقة الثانية، وهي أننا نخشاه، ونخشى في الواقع كل ما نجهله أو لا نفهمه.

-وما الحل إذن؟

=ليس هنالك حل يا راجي، لن تعرف أبداً ما إذا كان مستقبلك مشرقاً أم لا، الأمر فقط متعلق بمقدار شجاعتك لفعل الصواب تيمناً بأن يكتمل بالخير.

-هذا ليس سهلاً على الإطلاق.

=من قال أنه كذلك؟ أن تخوض مغامرة لا تدري كيف قد تكون نهايتها متسلحاً فقط بإيمانك....أتعرف؟ حتى ذلك الإيمان الذي ينبغي أن نتسلح به أثناء خوضنا لتلك المغامرات لم يعد قوياً تلك الأيام بس ما نسمعه ونراه من سوء يومياً، لطالما كان المستقبل هو خوف الإنسان الأسوأ، لكن الذين تخطوا هذا الخوف هم الذين كانوا شجعان بالدرجة الكافية ليفعلوا ما يريدون ويجربوا كل شيء وهم مستعدين لمواجهة جميع أنواع العواقب والمآسي، إذا لم تفعل ذلك فلن تنال حريتك، وستظل أسيراً لذلك الخوف طوال عمرك!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-....ما من خطأ في كلامك يا سيدي، لكنني أضعف من أن أفعل شيئاً بهذا الشأن!
=كلا يا راجي، لست كذلك، لقد علمت حقيقة ما كان بين والديك، عليك فقط أن تتجنب تكرار ما حدث!
-....أظنني سأفكر فعلاً في الأمر...
=كلا! إياك أن تفكر، فقط أصدر قرارك، أخمد نيران قلبك وأسكت أصوات عقلك! كل هذا لا يأتي بالتفكير وإنما بإتخاذ القرار، افعل ما تريد يا راجي لأنه ما من سيد لك بعد الله سواك!
-....سأفعل، سأفعل حقاً....هذه المرة تحديداً سأفعلها!

يوم ٥٤

خلال الأيام السابقة ظل راجي يعيد كلمات الرجل داخل رأسه مرات ومرات، وبعد تفكير وتحليل كثير اقتنع نسبياً أنه على حق، وقد كان نقص اقتناعه ذلك بسبب عودة أفكاره الملعونة إلى القتال من أجل السلطة كي تظل محافظة عليها، ولكن ظهر شعوران جديدان كانا الداعمين الرئيسيين لثورة جديدة ناجحة، أولهما كان حبه الشديد لهيام وافتقاده لها، وشعوره بالفراغ في الأيام السابقة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسبب عدم وجودها معه، وثانيهما إدراكه أخيراً لقيمة الحياة، ورؤيته أنها بالفعل تضيع من بين يديه بسبب حماقته وامتناعه عن اتخاذ قرار بالتشبث بها وخوض مغامراتها، وبناءً على هذه الثورة الناجحة اتصل راجي بهيام في اليوم الرابع والخمسين من بداية قصتنا ليعتذر منها ويخبرها أنه يحتاجها إلى جانبه!

أثناء انتظار ردها كان راجي قلقاً أن تكون هيام قد غضبت منه أو ما شابه، أو أن تغلبه نفسه مجدداً فتجعله يقول كلاماً لا يريد أن يقوله، لكنه تنفس بعمق وحاول أن يتمالك أعصابه، وأخيراً بعد بضع ثوان مرت على راجي كأنها أعوام أتاه الرد: "راجي....مرحباً!"

أثار صوتها سعادة بالغة وراحة في نفسه مثل كل مرة سمعه فيها منذ تقربا من بعضهما، ورد بنبرة حازمة: "مرحباً يا هيام، أردت إخبارك أن كل شيء قد انتهى!"

سألت هيام بنبرة باكية: "ماذا تعني يا راجي؟!"

تدارك راجي خطأه بتحدثه بتلك النبرة، رغم أنه تحدث بها فقط كي يؤكد سيطرته على نفسه، فرد ضاحكاً: "ما الذي فهمتيه؟ أقصد أن ما كان يمنعني عنك قد انتهى، سنعود

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما كنا يا عزيزتي!"

توقع راجي أن يسمع الأصوات التي كان ينبذها تتحدث مجدداً لكن المفاجأة أن هذا لم يحدث؛ مما أثار فرحاً بالغاً في نفس راجي خاصة وهو يسمع رد هيام بنبرة دالة على الرضا: "أحقاً؟ هل انتهى الكابوس؟!"

-هه....أجل يا هيام، انتهى!

=....وما الذي منعك عني يا راجي؟

-....سأقص عليك كل شيء بالتفصيل قدر استطاعتي، لكن علينا أن نلتقي في مكاننا وزماننا المعتادين، أنفعل اليوم؟

=....نعم، لنفعل اليوم!

-....توقعت أنك ستغضبين، وربما ما كنت لتردي حتى على المكالمة!

=قيمة الأفعال بدوافعها يا راجي، وما كنت لأرتكب رد فعل دون أن أفهم سبب فعلك أولاً.

-أنتِ رائعة يا هيام، وفاتنة وذكية، وأنا أحبكِ!

=....وأنا أيضاً يا راجي!

-إذن....نتقابل في موعدنا؟

=نتقابل في موعدنا.

وبالفعل تقابلا في المكان والموعد المعتادين، وجلست هيام بين أحضان راجي تتأمل معه الغروب، وبعد بضع دقائق من

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

التأمل والصمت قالت هيام: "احكِ يا شهريار!"

فضحك شهريار، وبدأ يقص عليها أحداث المعارك الضارية التي خاضها ضد نفسه وعقله في الأيام الماضية، وعندما انتهى من حكايته ضحكت هيام ضحكةً عذبةً اهتز لها كيانه، ثم قالت: "اللعنة، عقلك هذا سيدمرك!"
-صدقتِ!
=ولكن....هذه أفكار مضحكة ومجنونة يا راجي، لم تُعَقِّدُ الأمور هكذا؟ لقد جعلتني أصبح أفضل مما أنا عليه بكثير، وتسببتَ بتوسيع مداركي ومعارفي..
-لكن هذا ليس شيئاً ينبغي أن تشكريني عليه! إن فضول المعرفة لعنة يا هيام، وقد حسدتكِ لأنك تعيشين بعقلٍ سطحي حر لا يحلل كل ما يقابله أو يحدث له في حياته، أما أنا فقد أصبحت ضحية عاجزة لعقلي الذي لا ينفك عن التفكير في تفاصيل التفاصيل الخاصة بأي شيء!
=أنت لست ضحية لأحد يا راجي، انا أعلم يقيناً أنك تحبني، ولا بأس إن أحببتني لأجل أن تكون سعيداً، فلم ستحبني إذا لم تكن ستسعد معي؟!
-لأن الحب ينبغي أن يكون طاهراً في قلوب أصحابه من أية مشاعر إنسانية غيره أو رغبات شخصية، يجب أن يكون مجرداً من أي شيء حتى لا يفقد قيمته!
=كف عن التفكير بهذه الطريقة يا راجي، أنت تحبني وأنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحبك وهذا هو القول الفصل!
-وكيف لي أن أعرف؟ ألا يمكن أن تكوني مجرد وسيلة تقودني إلى سعادتي وحسب؟!
=وما المشكلة؟!
-غريب أنك لا تبالين بهذا...
=الرغبة في السعادة لا تدنس الحب يا راجي، وإنما تؤكده؛ لأن ذلك الشخص الذي تختار أن تحيا سعيداً معه يكون شخصاً من بين ألف شخص، حاول أن تفهم هذا، وأيضاً....ما شأن خوفك من أن نختلف في بعض الأمور؟ من المستحيل ألا يحدث هذا ولكن من الممكن أن نتعامل معه باحترافية!
-أنا....لم أعد أدري يا هيام، أشعر بتيهٍ شديد....
=أنت من يختار أن يظل هكذا حياً في ذلك التيه، بينما كل شيء واضح أمامك لكنك لا تنظر حولك أبداً.
-.....ربما.
=سنتجاوز كل هذا معاً يا راجي.
-نتجاوز؟!
=هذه لم تعد معركتك وحدك بعد الآن؛ كلانا مشترك فيما يحدث، دعنا نتحدى كل هذه الوساوس اللامنطقية يا راجي ونصبح معاً إلى الأبد! دع قلبينا يتشربا العشق الذي يكنه كل واحد منهما للآخر!
-كم أود أن أستمتع بهذه الشاعرية وذلك الحب، وأن أطور من مشاعري تجاهك وحبي لك، ولكني أشعر بأنني لست

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قادراً على ذلك...

=تشعر بذلك، وهو شعور كاذب!

-أنا قلقٌ يا هيام!

=وقد كنت خائفاً في السابق، وهذا تطور كبير!

-.....جائز.

=راجي...دعنا فقط نفعلها! أتعرف؟ لنؤجل إنجاب الأطفال، دعنا لا نفكر في الأمر أصلاً إذا منعنا خوفنا في المستقبل، فالمهم أن نكون نحن مع بعضنا، نحن لا ندين للعالم بشيء يا راجي، لا بأطفال ولا بغيره، نحن ندين لأنفسنا ومن نحبهم وينبغي أن نسد هذه الديون بألا نتحمل مسئوليات فوق طاقتنا!

-لكن....لا بد أن ننجب أطفالاً يا هيام!

=لماذا؟ لكي تعاند والديك وتكون مختلفاً عنهما؟! عليك أن تحيا كما تحب أن تحيا يا راجي، تحرر من تلك الدوافع السيئة وكف عن تسليم عقلك للغضب والرغبة بالثأر، كل هذا دفين بقلبك....أنت تكرههما يا راجي!

-بالطبع أفعل، ولن أخفي هذا بعد الآن، أكرههما لدرجة أنني أتمنى موتهما الآن، فهما مجرد أحمقين أجبرا نفسيهما على تحمل مسئولية لا قبل لهما بها، وقد كنت أنا ضحية هذا كله!

=أنت لست ضحية لشيء يا راجي، هذه حياتهما وحياتك ليست حياة أحد سواك، دع عنك تلك الكراهية وانتصر على نفسك لا عليهما، هما ليسا خصمك في تلك المعركة....تحرر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يا راجي، قَدِّس الحرية في ذاتك وكف عن الخضوع للقيود وإكثارها في نفسك، لا تكن كالعبد، لأنك إذا ظللت تسعى وراء هذا فإنك عندئذ ستكون فعلاً تحاول أن تدنس الحب الذي بيننا!

-أسوأ العباد عبدُ نفسه....هذا كلام سهل يا هيام!

=لأنك اعتدت الإستسلام لا المقاومة، والآن أتتك فرصة للتجربة....ولم لا؟ ما الذي قد تريده أكثر من حياة حرة مع شخص تحبه ويحبك؟! دع كل هذا وراءك....أرجوك يا راجي!

-....سأفكر....

=كلا لن تفعل، لا تعط عقلك الأحمق وسيلة للعمل، كن سطحياً وغبياً مثلي وافعل ما تحسدني عليه!

ثم دقت بأحد أصابعها على رأسه قائلةً بمرح: "أوقف هذا الملعون، اقتله!"

-لا أظنك غبية أبداً يا هيام، يبدو أن عقلك قد سافر إلى وديان الحكمة حقاً!

=أعلم ذلك....لكنني لا أزال غبية وأحب ذلك، الغباء نعمة!

-....ليتني كنت غبياً وعقلي متوقف عن العمل!

=أجل، هذه أمنية صائبة وفي محلها!

-....لا بأس يا هيام، لكن علينا أن نؤجل هذا لوقت لاحق لأنه علي أن أتفرغ لذلك الأمر.

=أي أمر؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-أوه...ألم تسمعي بالأمس عن المسابقة؟!

يوم ٦٣

في خلال الأيام السابقة كان راجي يستعد لمسابقة فنية تم الإعلان عنها في المعرض، حيث سيتنافس رسامو المدينة على رسم أفضل لوحة من ناحية المضمون خصوصاً والجوانب الفنية عموماً، لذا فقد قرر أن يكون جزءاً من هذا وبدأ بالفعل برسم لوحة جديدة.

ولم يفعلها راجي وحده، وإنما جعل هياماً تجلس معه لتشاهده وهو ينهيها وتعينه على ذلك، فقد كانت تناوله الألوان التي يحتاجها وغير ذلك من وسائل المساعدة في أمر كهذا، وكلما توقف أو شرد بذهنه لبضع ثوان قالت له: "عزيزي، أنا أحبك، أكملها لأجلي ولا تشرد بذهنك حتى لا يضيع منك الإلهام!"

فيبتسم راجي ويرد: "أنتِ إلهامي!"

ثم يتابع الرسم بعد أن تبث فيه جملة هيام قوة وإرادة وشغفاً.

وأخيراً انتهى منها، وقد كانت لوحة يرى الناظر إليها فتًى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جالساً على الأرض وقد ضم ركبتيه إلى وجهه بذراعيه من الحزن، ومن ورائه أبوين يتشاجران ويقرب كل منهما عود ثقاب مشتعل من جسد الفتى، ورغم أن هياماً شعرت في قرارة نفسها أنه لا يزال يرسم لوحاته عن نفس الموضوع الذي لا يمل منه لكنها لم ترد الإدلاء بملاحظتها، بل تركته يفعل ما يؤمن به وأعانته على ذلك.

وبالفعل أتى يوم تقديم اللوحات في المعرض، وهو يوم يسبق يوم العرض على الناس بخمسة أيام، وقد كان هذا هو اليوم الثالث والستون من بداية قصتنا، ولم يكن به أي حدث مهم غير هذا.

يوم ٦٨

خلال الأيام السابقة حدث أمران مهمان، أولهما أن والدة راجي هاتفته وأخبرته أنها سمعت عن المسابقة الفنية التي ستقام في المعرض، وأنها ستكون هناك لأنها متأكدة أنه شارك فيها، وأنها تتمنى له التوفيق والنجاح في حياته عموماً، وفي هذه المسابقة خصوصاً.

وثانيهما أن والد راجي هاتفه هو الآخر وأخبره أنه يحبه ويتمنى له التوفيق والنجاح، وأنه سمع عن المسابقة الفنية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التي ستقام في المعرض ومتأكد أنه شارك فيها، وأنه سيكون حاضراً لكي يكون معه ويتمنى له الفوز.

وبالطبع لم يعلم أي من الوالدين أن الآخر سيحضر، ورغم أن راجي شعر بأنه هنالك أمر كبير وراء هاتين المكالمتين إلا أنه قتل شعوره الوردي ذلك بأدلة أليمة من الواقع ومن الأحداث السابقة.

لم يعلم راجي ما الذي ينبغي أن يشعر به تجاه أمر كهذا، لذا فإنه ببساطة لم يشعر بشيء، لا بفرح أو حزن، ولا أمل أو يأس، فهو الآن لا يشعر في حياته إلا ب"هيام"، وهذا شعور جديد أضافه راجي إلى قاموس المشاعر!

وأخيراً، أتى اليوم الثامن والستون من بداية قصتنا، والذي فيه تم تقييم اللوحات وإعلان اللوحة الفائزة في نهاية اليوم، وقد كان نظام التقييم بسيطاً جداً؛ فالأمر أن الذين يرغبون بالمشاركة والتصويت لا المشاهدة فقط هم الذين كان من المسموح لهم دخول المعرض ذلك اليوم، يأتي الفرد منهم ويسحب ورقة فارغة ويتجول في المعرض ليشاهد اللوحات المعروضة، وعندما ينتهي من التأمل فيها ويختار في عقله لوحة مناسبة لتكون الفائزة من وجهة نظره يذهب ويضع هذه الورقة في صندوق مخصص لهذه اللوحة كدلالة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على أنه صوت لها، وبالطبع كانت هنالك صناديق بعدد اللوحات المرسومة.

أعلَمَ راجي هياماً أن والديه سيأتيان، وأنه سيعرفهما عليها وسيحاول أن يتمالك نفسه ويجعل الأمر ودياً قدر الإمكان، فوافقت هيام ولكنها نظرت له بجدية وقالت: "أمتأكد أنك لن تلوث حبنا برغباتك في إغاظتهما أو ما شابه؟ سأوافق ولكن بشرط أن نحيا معاً في سلام بعد ذلك وأن تنسى أمرهما وتتوقف عن معاداتهما وبذل كل جهودك لمجرد التفوق عليهما!"

أخذ راجي نفساً عميقاً ورد: "لا بأس...سنفعل!"

ذهب راجي وهيام إلى المعرض، وحينما وصلا لم يكن والدا راجي قد حضرا بعد، تجولا في المعرض لبضعة دقائق وتأملت هيام اللوحات وقررت أنها ستصوت للوحة راجي، لكنه في طريقهما إلى صناديق التصويت منعها قائلاً: "يا هيام....كوني صادقة مع نفسك ومعي!"

ردت هيام عندما وصلا: "لا بأس سأفعل."

ثم ألقت بورقتها في صندوق لوحة راجي، ونظرت إليه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وابتسمت قائلة: "لقد فعلت!"

ضحك راجي وعانقها لبضع ثوان، ثم سألها: "ألن يأتي والدك؟"
أجابته: "كان يرغب بالقدوم وتشجيعك، لكنه لا يحب أجواء الصخب كثيراً، فلا أظنه سيأتي لأنه أخبرني ذلك."
-ومن الأحمق الذي يحب أجواء الصخب؟!
=ليس والدي بالتأكيد!

ضحكا ثم تابعا جولتهما في المعرض حتى لمح راجي والده وهو يدخل من الباب ويقترب ليسحب ورقة، فاقترب منه مع هيام وقال له: "أنرتَ المكان وأرجو أن تستمتع!"

التفت والده إليه وحياه مبتسماً ثم رد: "لا متعة لي في أمور رفيعة الذوق كتلك، لقد جئت من أجلك فقط!"

وربت على كتفه قائلاً: "أنت البطل هنا!"

ثم انتقل بصره إلى هيام وسأل راجياً: "هل هذه الفاتنة ابنتك؟!"

ضحك راجي وهيام بشدة، ثم تمالكت هيام نفسها وردت:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"كلا، بل أنوي أن أكون أماً لأبنائه!"
=أوه، يا لها من ثقة رائعة، أحب الفتيات الواثقات في أنفسهن مثلكِ، وما هو اسمك يا ترى؟"

أجابت بإسمها، وظلوا يتحدثون لبعض الوقت إلى أن قطع حديثهم صوت أنثوي مألوف ينادي على راجي بإسمه، وعندما التفتوا ليروا صاحبة الصوت رأوا والدة راجي تقترب منهم وتبتسم لراجي قائلة: "كيف حالك يا عزيزي؟!"

رد راجي: "بخير يا أمي، بخير!"

بعدها نظرت الأم إلى الأب وسألته على أحواله بخجل فأجابها أنه بخير، وبعدها نقلت بصرها إلى هيام سائلةً عنها فأجابها الأب مازحاً: "هذه أم أطفال راجي المستقبليين!"

تأملتها الأم لثوان وقالت وقد ابتسمت ابتسامة حزينة: "هذا رائع يا راجي، لِمَ لَم تخبرنا؟!"

رد راجي متهكماً: "ربما لأنكما كنتما بعيدين أكثر من اللازم!"

احمر وجه الأم من الخجل، وأمسكت هيام بكف راجي ونظرت إليه معاتبة، لكن الأب أنهى القلق الذي ساد الأجواء

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

قائلاً: "حسناً يا رفاق، دعونا نذهب لمعاينة اللوحات!"

انتهزت الأم الفرصة وقالت: "أجل، سعدت برؤيتكم، سأذهب أنا الآن ل..."

اقترب منها راجي وسحب كفها ليضعها في كف والده قائلاً: "اللعنة، إنكِ حتى لم تسألي عن اسمها!"

ثم نظر إليهما بجدية وقال: "ألا يمكنكما فقط أن تسيرا معاً لهذه المرة فقط وتجعلاني لا أشعر أني وحيد ولو لمرة واحدة؟!"

شعر الوالدان بخجل شديد لكنهما أذعنا لرغبة راجي وتركاه ليسيرا ويعاينا اللوحات معاً بعد أن أكد لهما راجي أنه سيلحق بهما مع هيام.

سألته هيام باستنكار بعد أن ابتعد والداه: "ما الذي تريده بالضبط يا راجي؟!"

رد راجي: "لا أدري يا هيام....لا أدري!"

مرت الساعات بسرعة حتى بدأت الشمس تميل للغروب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خارج المعرض، وعندما حان موعد إعلان اللوحة الفائزة ذهب راجي وهيام ليبحثا عن والدي راجي بعد أن افترقا عنهما منذ حوارهم السابق معاً، فلم يجدا سوى والده يقف وحيداً، فسأله راجي عن مكان والدته ليخبره بأنها رحلت، ثم يقول له بجدية قبل أن يعطي له فرصة السؤال عن التفاصيل: "دعك منها، ولننتظر إعلان النتيجة معاً!"

وبالفعل تم إعلان اللوحة الفائزة أمام جمع الحضور الذين لم يرحلوا بعد الإدلاء بأصواتهم، والتي - للأسف - لم تكن لوحة راجي!

كانت لوحة يرى الناظر إليها شخصاً يكسر أغلاله ويخرج من بين النيران المشتعلة خلفه، وينظر باكياً إلى الأفق وعلى شفتيه ابتسامة، ومقارنة بلوحة راجي فأنا شخصياً ككاتب لهذه القصة أراها تستحق الفوز، والأمر ليس لأنني أريدها أن تكون كذلك!

العجيب والغير عجيب في الوقت ذاته أن راجي لم يحزن أو يعترض على الإطلاق، رغم أن هياماً أمسكت بكفه وقالت له بضيقٍ واضح: "يمكنك بالطبع أن تفعل أفضل من هذا بكثير، لكني مخطئة لأنني لم أحاول إقناعك بتغيير محتوى لوحاتك!"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هز راجي رأسه بالنفي قائلاً: "كلا كلا، لا تلومي نفسك على أي شيء، ليس أيٌ مما حدث بذنبك، وعموماً ستكون هذه آخر لوحة أرسمها عن هذا الموضوع، لقد اكتفيت يا هيام وأنا سعيد بذلك!"

أحكمت هيام قبضتها على كف راجي أكثر وقالت له بإشفاق: "فقط لا تحزن، اتفقنا؟ ستكون هنالك مسابقات أخرى و...."

-يا هيام، الأمر لا يشكل معي فارقاً، أقسم لكِ أنني لا أشعر بالضيق على الإطلاق يا عزيزتي!

قاطع حديثهما صوت والد راجي وهو يقول: "،لا بأس يا بطل، أياً كانت النتيجة فأنا فخور بك، رغم أننا جميعاً نعلم أنه فوز مستحق بالطبع، عموماً أرجو ألا أكون قد قاطعت لحظة رومانسية هنا، لكن علينا التحدث يا راجي، وحدنا!"

ابتسمت هيام قائلة: "لا بأس، تحدثا كما تريدان، وسأعود أنا إلى المنزل لأطمئن على والدي!"

-لا بأس يا حبيبتي، إلى اللقاء!

عانقته هيام ورحلت، وضحك الوالد إثر رحيلها قائلاً:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"حبيبتك؟ مع عناق؟!"
-نعم....لقد وصلنا إلى هذه المرحلة!
=رائع يا راجي، المهم الآن أنه من الأفضل لنا أن نخرج ونسير معاً لنتأمل الغروب أثناء حديثنا.
-فلنفعل إذن.

اقتربا من باب المعرض وأمره والده أن يخرج أولاً، ثم خرج بعده قائلاً: "السيدات أولاً، يا لك من مغفل يا راجي!"

سارا لبضع ثوان دون أي حديث، إلى أن قطع الوالد الصمت قائلاً: "علينا أن نخطب لك هذه الفتاة يا راجي، وسأعينك بكل ما لدي لتتزوجها في أسرع وقت!"
-ظننتك ستغضب لأنني لم أخبرك...
=لست في موضع يعطيني الحق لأكون كذلك، لقد كنت بعيداً عنك إلى درجة مثيرة للخجل، لكن كما أخبرتك فإنني دائماً سأعينك مهما يحدث!"
-....إذن دعني أتحدث وأقص عليك الأمر كله.

حكى راجي لوالده كل شيء منذ بدايته، وقد كان والده يحب التعليق والمزاح إثر ذكر كل صغيرة وكبيرة في القصة مما جعل راجي يضحك كثيراً رغماً عنه، وعندما أنهى راجي قصته قال له والده: "أنت أحمق ومجنون بأفكارك الدرامية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تلك، إن الفتاة هي ابنة صاحب عملك، وصاحب عملك يسعى ليزوجها لك، ما المانع الآن؟!"

-ليس هنالك مانع الآن بصراحة.

=اسمع يا راجي....أنت شاب صالح، وهذا هو أكثر شيء متأكد منه في حياتي، وتستطيع أن تكون أفضل مني وتضمن بقاء حبيبتك معك إلى أن يشاء الله، فأنت كما أخبرتك صالحٌ على عكسي يا بني.

-لا تقل هذا، فوالدتي هي من بدأت ال....

=وأنا الذي سمحت له بالإستمرار، أنا أيضاً سيء بقدر والدتك لأنني لم أحاول أن أجعل نفسي أفضل مما كنت عليه، بل وانتظرتها أيضاً أن تصبح أفضل مما هي عليه دون أن أفعل أنا، لقد كان صراعاً ذو قطبين يا راجي وأنا مخطئ بقدر والدتك، هذا ما أريد أن أؤكده لك!

-....إذن؟!

=إذن فعليك أن تكون مستعداً لفعل أحد اصعب الأشياء في حياتك؛ أن تتقبل هياماً كما هي، وتسعى بنفسك وتساعدها لتكون أفضل كنوع من التفضل وليس كشرط لبقائكما معاً، هذا هو المفتاح يا راجي، هذا هو ما لم نستطع فعله! ومن ثم....ومن ثم....

-ومن ثم؟

=ومن ثم تعمل جاهداً لتكون راجياً أفضل حتى من راجي الذي تنتظره هي، فهذا حقها، وحقك أيضاً أن تفعل معك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشيء ذاته، فقط....اجعلا حبكما لبعضكما يدفعكما لمقاومة مشاعركما السوداء تلك والبقاء معاً، هذا كل ما أستطيع أن أقوله لك!

-ولن أكذب إذا قلت أنه أحدث فرقاً في نفسي يا أبي، وجعلني مطمئناً أكثر.

=هه! إنك مطمئن منذ بداية الحوار يا راجي، إنك حتى لم تسأل ثانية عن تفاصيل رحيل والدتك!

-اللعنة! لقد نسيت تماماً!

=وينبغي أن يكون هذا هو أفضل شيء حدث لك في حياتك!

-....أتعرف أنني الآن لا أود أن أسأل، ولا أهتم بأن أعرف؟!

=أحسنت يا راجي! أحسنت يا بطل....لقد نجوت!

-نعم، لقد نجوت....لقد نجوت!

=ولكن لا بأس، سأخبرك التفاصيل، أتعلم ما هي التفاصيل؟ لم تكن هنالك تفاصيل يا راجي، لقد أفلتت يدي وشرعت في البكاء وهي تركض هاربة مني!

-....أنا لا أفهم أمي على الإطلاق!

=....و؟!

-....ولم أعد مهتماً بأن أفهمها!

=أحسنت يا راجي!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يوم ٧٣

اتفق راجي ووالده على أن يذهبا إلى منزل هيام متى أراد راجي وكان مستعداً، وقد أخبره راجي أنه تقريباً مستعد إذ أنه يحتاج فقط بضعة أيام ليفكر في الأمر أكثر ويستعد له نفسياً وعقلياً بصورة مثالية، وقد أيده والده في ذلك وأخبره أنه ينتظر قراره، وأعلمه أنه سيكون معه دائماً.

لم تكن والدة راجي قد اتصلت به أو بوالده خلال الأيام السابقة، لذا وفي اليوم الثالث والسبعين من بداية قصتنا ذهب راجي إليها ليتحدث معها ويقنعها أن تأتي معه ووالده في اليوم الذي سيذهبان فيه إلى منزل هيام.

الحق أن والدة راجي استقبلته استقبالاً جيداً عندما وصل إلى منزلها كأن شيئاً لم يكن، وقد احترم راجي ذلك فلم يأتِ على ذكر أي أمر في بداية جلوسهما معاً حتى سألته هي بنفسها عن هيام، وهنا استرسل راجي في الحديث وحكى لها كل شيء، إلى أن ختم قصته أخيراً بإعلامها أنه سيذهب مع والده لطلب يد هيام من والدها خلال يومين أو ثلاثة، وهنا أخذت الأم تبكي بحرقة مما أثار عجباً في نفس راجي لأنه بالفعل حتى اليوم لا يفهمها على الإطلاق، وعندما سألها عن سبب بكائها أجابته: "لقد كنتُ بعيدة جداً يا راجي، بعيدة أكثر مما ينبغي، أنا آسفة يا بني ولكنني لن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أستطيع القدوم!"

غطى راجي كفه بوجهه وتنهد قبل أن يسألها: "لماذا؟ أريد سبباً واحداً يجعلني لأ أثور عليكِ الآن!"
-لأنني ببساطة لا أستحق ذلك، لا أستحق حتى أن أكون أماً لك، لقد دمرتُ كل شيء منذ زمن بحماقتي وأنانيتي، لم أكن صالحة قط يا راجي ولن أكون الآن!

عندما قالت أمه ذلك شعر راجي أخيراً بأنه قد فهمها، إنها تعاقب نفسها لأنها تعلم أنها مخطئة، لكنه لم يرد لها أن تفعل ذلك أبداً، فوالده أخطأ هو الآخر لكنه تسامح مع ذلك الخطأ وتعامل معه كأن شيئاً لم يكن، ولم يخلق بينه وبين راجي أية حواجز عكس ما تفعله والدة راجي الآن، لذا فقد أخبرها راجي أنه سيمهلها وقتاً للتفكير ولكنها رفضت رفضاً قاطعاً كأنها ستذهب إلى هلاكها وليس إلى مناسبة سعيدة خاصة بإبنها، وعندما مَلَّ راجي منها غضب وقام من على كرسيه وتوجه نحو الباب وقال: "أعلم أنك تشعرين بالذنب وبأشياء أخرى أسوأ، ولكن هنالك دائماً فرصة لكل واحد منا ليكفر عن ذلك الذنب، وأنت لم تنتهزي تلك الفرصة على الإطلاق بل هربتِ منها، أنا لا آبه لمشاكلك ومشاعرك ولكن آبه لإستعدادك للتضحية من أجلي، ويبدو أنك لا تستطيعين ذلك إذ أنكِ لا تزالين أنانية وطالحة كما كنتِ، أنتِ محقة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالفعل في أنك لم تكوني أبداً صالحة ومحقة أكثر في أنك لن تصبحي كذلك، ربما تكون تلك هي المرة الأخيرة التي تريننى فيها وسأجتهد لأجعلها كذلك!"

وعندما أنهى كلامه فتح الباب ورحل، والحق أنه لم يذرف دمعة واحدة في طريقه، وفي نظره كان هذا أكثر أمر صائب قام به في حياته، لم يعد يمنعه شيء الآن بما أن مقاليد السعادة أصبحت بين يديه، لقد تحرر راجي من سجنه أخيراً وحطم أغلاله وودَّعَ أحزانه، لقد انتهى كل شيء وبدأ كل شيء في الوقت ذاته!

يوم ٧٦

في طريقهما إلى منزل هيام كان راجي يشعر بسعادة غير مكتملة بوجود والده، وتمنى لو أنها اكتملت بوجود والدته ولكن في نهاية المطاف رضي بحاله، ولكن كراهيته لوالدته لم تكن قد زالت من قلبه، وليس من العدل أصلاً أن تزول!

ولكي لا يأخذ الأمر حيزاً أكبر من عقل راجي قرر أن يقص ما حدث على والده لأنه لم يكن قد قص عليه ما حدث بعد، وبالفعل حكى له ما كان منها وأخبره بنيته ألا يزورها مجدداً لكن والده نهاه عن ذلك قائلاً: "راجي، إذا كنا سنفعل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما نحن ذاهبون لفعله فعلي أن أتأكد أن قلبك قد تحرر تماماً من الكراهية لأي أحد أياً كان ومهما فعل، الكراهية ستدمرك وستقضي على سعادتك!"

رد راجي بحزن واضح ممزوج بغضب أكثر وضوحاً: "لكني لا أستطيع يا أبي!"
=أعلم أنك غاضب يا بني، والله إني لأعلم ذلك ولكن ماذا عساي أقول لك؟ أن تكرهها؟!
-والله لو قلتها لكان خيراً!
=لكني لا أستطيع أن أقولها يا فتى! أتعرف؟ أنا الآن متأكد أن والدتك أدركت خطأها...
-هذا لا يعنيني!
=لكنه يعنيني أنا، والآن!
-ماذا تقصد؟!
=....دعني أعدك بشيء....سأحاول أن أذهب إليها في الشهور القادمة لكي أقنعها أن تحضر حفل زفافك على الأقل!
-هه...لن تفعل يا أبي، إنك لم تر ذلك الإصرار في عينيها!
=أعرف، ولهذا سأذهب لأراه بنفسي!
-...لقد اتخذت قرارك متأخراً جداً يا أبي!
=وهذا أمر أعتذر منك عليه، وأعلم أنه لن يجعلك تشعر بأي شيء لأنك قتلتنا في قلبك وهذا صواب ولا أريدك ان تغيره

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على الإطلاق، أما أنا فليس من الصواب أبداً ألا أحاول لم شمل العائلة مجدداً ولو حتى لمرة أخيرة....لا تغضب من أمك يا راجي فهي حمقاء وأنا أعلم ذلك لكنها لا تستحق كل تلك الكراهية!

-اللعنة....لا تقل لي أنك ما زلت تحبها!

=هل ذكرت لكَ سابقاً أنني لا أحبها؟!

-هه....مراوغة جيدة!

=دعنا الآن نغلق هذا الموضوع، أو ندفنه، نعم، دعنا ندفنه يا راجي، معاً!

-....شكراً لأنك كنت معي يا أبي!

=هذا واجبي الذي لا بنبغي لك أبداً أن تشكرني عليه، إنني خادمك المطيع يا سيد راجي!

قالها الأب وانحنى في حركة مسرحية جعلت راجي يبتسم، ثم ربت على كتفه قائلاً: "وأمك أيضاً تريد أن تكون معنا وأنا أعلم ذلك، ولكنها فقط....حمقاء، والنساء أغلبهن حمقاوات!"

-ربما تكون على حق!

=وربما تكون هيام حمقاء أيضاً، وهذا ما لا أرجوه!

-كلا كلا، لو أنها كذلك لما....

=اوه، أتدافع عنها وأنت لم تقض ليلة واحدة معها على فراش واحد؟! نعم، هذا الحب الأعمى مثير للإعجاب!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-أنا....لكن....فقط اصمت، لا تجعل عقلي يدور مجدداً....
=حتى لا تخبرها بأنك تريد الإنفصال عنها وأنا أعلم جلياً أنك تتوق لفعلها، كلا يا راجي، لن أدعك تفعلها!
-وأنا أيضاً لن أدع نفسي تفعلها!
=إذن....هل تعدني أنك ستكون باراً بوالدتك وتنسى ما حدث وتذهب إليها كما ستأتي إلي حتى بعد زواجك؟
-لا!
=هذا ما توقعته، ولو كنت قلت كلاماً مختلفاً لظننت أن الساعة آتية! حسناً يا فتى، دع هذه الأمور لوقت لاحق ودعنا الآن نركز فيما أنت مقبل عليه.

غير الإثنان موضوع الحديث أثناء سيرهما حتى وصلا إلى منزل هيام، والحق أن الزيارة كانت مفاجئة ومتوقعة في الوقت ذاته بالنسبة لهيام ولوالدها، ولكن الأكيد أن بهجتهما بالزيارة لم تكن قابلة للوصف، وكأن العيد قد أتى في ذلك المنزل دون غيره!

جلس الجميع في حجرة الإستقبال واستأذنت هيام أن تقوم لتعد لهم الشاي، وقبل أن تذهب نظرت إلى راجي الذي لاحظ جهدها المبذول في إخفاء سعادتها الغامرة نظرةً فرحةً راضيةً مليئةً بالحب والسعادة والفخر، وبالفعل قامت وتركتهم يتحدثون.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان حديث الثلاثة في البداية روتينياً؛ فقد تعرف الأبوان على بعضهما، ثم تحدث الثلاثة في موضوع أو اثنين سريعاً ودون تفاصيل مؤجلين حديثهم عن هيام حتى تأتي بالشاي ولكي يكون الختام مسكاً!

وعندما انتهت هيام بالفعل وأتت حاملة أكواب الشاي لتضعها على المنضدة وتجلس بدأ والد راجي الحديث في أمرها قائلاً: "أعلم أنك تعرف لماذا نحن هنا، وأعلم يقيناً أنك ستوافق ولكني فقط لا أستوعب الأمر؛ فهيام جميلة لدرجة تجعلني أعتقد أنها ليست حتى من أصول مصرية!"

وأردف راجي: "ولا من أصول بشرية أصلاً، أشعر بأنها سقطت من الجنة!"

ابتسم والد هيام واحمر وجه هيام نفسها من الخجل، ثم استطرد والد راجي: "وهذا يجبر راجياً على شكر الله وحمده كثيراً؛ فلقد عوضه عن مآسي كثيرة كنا أنا ووالدته السبب فيها، ونحن نشكرك حقاً على كل شيء؛ منحته حياة وعملاً، وصديقة وحبيبة، و....أنشكرك الآن على منحه زوجة؟!"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبدأ بشرب الشاي منتظراً الرد، ونظر والد هيام إلى ابنته التي أجابت قائلة: "بالطبع موافقة!"

فابتسم الرجل وأتبع موافقتها بموافقته، ثم بدأ يشرب كوبه.

وابتسم راجي وأتبع موافقتهما بامتنانه وسعادته، ثم بدأ يشرب كوبه.

وهكذا طال بينهم الحديث والمزاح، إلى أن أخرج الوالد هاتفه فجأة إثر رسالة نصية استقبلها من أحدهم، وعلى إثر رؤيتها عقد حاجبيه ورد عليها في بضع ثوان قبل أن يضعه في جيبه مجدداً قائلاً: "معذرةً، كنت أرد على أحدهم فقط!"

مال راجي برأسه ليهمس في أذن والده: "لا أحد يعرفك غيري!"
=وماذا عن أصدقائي في العمل؟! أنا لست كما تظن يا فتى!

ثم عادوا إلى الحديث، ومرت بضع دقائق قبل أن يقول والد هيام فجأة: "أظن أنه سيكون من الجيد لكما يا راجي أنت وهيام أن تجلسا في تلك الشرفة وحدكما وتتحدثا أكثر!"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأكد والد راجي على الكلام: "أجل، فأنا أحتاج وقتاً مع....صديقي الجديد على ما يبدو، لقد فهمت حقاً لِمَ تحبه يا راجي! ليتني كنت والداً صالحاً مثله!"

نظر إليه راجي بإمتنان وسعادة قائلاً: "أنت كذلك يا أبي، شكراً لك على كل شيء!"

بادله والده الإبتسام، وبعدها انتهز العاشقان فرصتهما ليجلسا وحدهما مجدداً، وبالفعل ذهبا إلى الشرفة وجلبت هيام كرسيين ليجلسا عليهما، وأخذا يتأملان السماء معاً في صمت إلى أن قالت هيام: إنني لم أكن سعيدة هكذا أبداً في حياتي!"

ابتسم راجي ورد: "ولا أنا يا هيام، حقاً!"
=....أحبك!
-وأنا أفعل، كثيراً!
=تحب نفسك كما أحبها؟!
-كلا! هه....أقصدكِ أنتِ يا حُلوَة!
=....وأنا فخورة بك بالمناسبة!
-لماذا؟!
=لأجل كل شيء! لأجل كونك الرجل الذي يجلس إلى جانبي الآن!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-....نعم، لم يكن الأمر سهلاً يا هيام!
=أعلم ذلك يا عزيزي، ولكن لقد انتهى كل شيء بالفعل، أليس كذلك؟!
-هيام!
=أجل يا عزيزي؟
-لا تجعليني أندم على هذا!
=....أنت ما زلت غاضباً بسبب أمر الذين عرفتهم قبلك، صحيح؟!
-نعم، من الجيد أنك تعرفين!
=...هذا أكبر خطأ ارتكبته في حياتي يا راجي، ولن يساعدني أحد على تجاوزه سواك، وما زلت على قولي بأنني لم احب أحداً منهم كما أحببتك، وستثبت لك الأيام ذلك، وقد تستطيع تكذيبي لكنك لن تكذب الأيام!
-...سنرى!
=عزيزي، لا تغضب مني أرجوك!
-لو أنني لا أحبك حقاً لما صارحتكِ بأمر كهذا!
=أعلم يا عزيزي، ولكن....ألا يمكننا تغيير الموضوع؟ أَمُحَرَّمٌ عليكَ أن تسعد ولو حتى لخمس دقائق فقط؟!

اتسعت ابتسامة راجي، وبالفعل انطلقا يتحدثان في أمور عدة ضمنها رؤيتهما المستقبلية لحياتهما الزوجية المجيدة، وظلا هكذا ساعة أو ساعتين دون أن ينتبها لأي شيء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حولهما!

ومع حلول الغروب نظر راجي إلى الساحة الفارغة المقابلة للمنزل ورأى أمراً غريباً ومفاجئاً له، فقد كان والده يتقدم ناحية المنزل برفقة أحد ما، وبالطبع أدرك راجي أنه لم يكن منتبهاً حتى لخروج والده منذ قليل، ولكن لماذا قد يعود مجدداً مع أحدهم؟ ولماذا قد يترك راجياً وحده ويخرج أصلاً دون أن يعلمه؟!

أوه، ولكن مهلاً، لقد نظر راجي بتركيز أكثر محاولاً تبين ملامح ذلك الشخص القادم معه، ورغم أنه لم يكن شخصاً غريباً إلا ان حضوره كان آخر ما قد يتوقعه راجي؛ فلم يعرف حتى عندئذ كيف ينبغي أن يشعر!

لقد كان والديه يسيران قبالة المنزل، معاً وبسعادة!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner